الطائفة المنصورة وواقعنا المعاصر

محورية الولاء والبراء

مع إخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بغربة هذا الدين واتباع هذه الأمة لما سبقها من الأمم، إلا أن الله تعالى تكفل لهذه الأمة بوجود طائفة منصورة هي خاصة أهل السنة، الذين هم خير الأمة، تحفظ هذا الدين ويظهر الله بها الحق ليفيء اليها من أراد الله له الخير، ويُظهر بها من الحق ما ينجو به من كتب الله له السعادة.

ومن أجل المعرفة بها يقدم الموقع هذه السلسلة..

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا.

أما بعد:

فإن المتأمل فيما يدور اليوم من نوازل عظيمة في ديار المسلمين لَيأخذه الفزع والخوف على إيمانه ودينه، وذلك مما ظهر في هذه الأحداث ويظهر من فتن وابتلاءات يمتحن الله عز وجل فيها إيمان عباده، ولاسيما عقيدة الولاء والبراء التي هي صلب التوحيد، ولمن يكون ولاء المسلم ولمن لا يكون، ولمن تكون براءته ولمن لا تكون؛ وذلك في هذا الصراع الذي تشهده الأمة بين معسكر الإيمان والتوحيد وبين معسكر الكفر والشرك والردة والنفاق.

محورية «الولاء والبراء» في صفات الطائفة المنصورة

ومواقف الناس اليوم

ولقد تعرضت عقيدة الولاء والبراء لحملة شعواء وهجمة شرسة في محاولة لهدمها وتهميشها وإطلاق أنواع التهم على مَن يحملها ويدعو إليها، وتسميتهم بالمتطرفين تارة وبالإرهابيين، ودعاة الكراهية والعدوان تارة أخرى.

ونتيجة لهذه الحملات والضربات المتتالية على الإسلام الصحيح وحملته وعلى عروته الوثقى ـ عقيدة الولاء والبراء ـ انقسمت الأمة إلى الفئات التالية:

الفئة الأولى

فئة الجهَلة من المسلمين الذين وافقوا الكفار والمنافقين على طروحاتهم وشبهاتهم فمالوا إلى خندقهم ودخلوا فسطاطهم فأصبحوا معهم، جهلًا منهم بمفهوم الدين الصحيح.

الفئة الثانية

فئة من المسلمين لا تهمهم إلا مآكلهم ومشاربهم وملذاتهم الدنيوية انساقوا مع شهواتهم؛ فلم يهمهم أمر الدين ولا عقيدته القائمة على الموالاة والمعاداة في الله.

ومثل هؤلاء الذين لا يهمهم أمر هذا الدين لديهم الاستعداد لأن يكونوا في خندق الكفار والمنافقين إذا كان ذلك يحقق لهم مصالحهم ومكاسبهم الدنيوية.

الفئة الثالثة

وهم أحسن حالًا من الفئتين السابقتين في فهمهم للدين والاهتمام به وبغضهم للكفار، ولكن ليس لديهم الاستعداد للتضحية في سبيل الله والركوب في سفينة الدعاة والمجاهدين والطائفة المنصورة بل هم في بعض الأحيان مخذِّلون لأهل الحق مثبّطون لهم يبثّون اليأس من نصر الله ويضخّمون قوة العدو وعدم القدرة على مواجهته.

الفئة الرابعة

الطائفة المنصورة التي وفقها الله عز وجل للفهم الصحيح لهذا الدين والقصد الصحيح؛ فاستعانت بالله عز وجل وقامت بنصرة دينه بالحجة والبيان وبالسيف والسنان، وصبرت وضحّت في سبيل الله عز وجل.

وهي المذكورة في الحديث الصحيح المتواتر الذي سيأتي سرد رواياته وشرحها، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: «لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك»(1).

إن أبرز صفة لهذه الطائفة المنصورة كونها قامت على الولاء لهذا الدين وأهله والبراءة من الكفار والمنافقين، وجهادهم وعلى الموالاة والمعاداة في الله عز وجل.

وإن هذه العقيدة التي تنطلق منها الطائفة المنصورة في ظل هذه الأحداث والفتن المتلاطمة تمتحن اليوم في قلوب أهلها ويميز الله عز وجل بهذه الأحداث والابتلاءات مَن هو الصادق في حملها المضحي في سبيلها ومن هو الكاذب الذي يدعيها.

مقدمات مستقرَأة

وقبل الدخول في سرد روايات الطائفة المنصورة وصفاتها وخصائصها أودّ ذكر بعض الأمور المتعلقة بهذا الأصل العظيم من أصول التوحيد «الولاء والبراء» والذي هو سمة الطائفة المنصورة:

الأولى: مكانة «الواء والبراء» من التوحيد

إن المتدبر لآيات الولاء والموالاة والبراءة من المشركين في كتاب الله عز وجل يتقرر عنده أن عقيدة الولاء والبراء هي صلب التوحيد، وأنها قضية إيمان وكفر وتوحيد وشرك وليست قضية جزئية فرعية.

إن كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» نصفها براءة من الشرك والمشركين من قول: «لا إله» ونصفها الآخر ولاء لله عز وجل بإفراده سبحانه بالعبودية وذلك من قوله: «إلا الله».

الثانية: كثرة الأدلة على هذا الأصل العظيم

كما أن المستقرئ لآيات الولاء والبراء في القرآن يخرج بنتيجة مهمة؛ ألا وهي أنه ليس في كتاب الله عز وجل في الكلام على التوحيد من الأدلة أبين وأوضح وأكثر من الحديث عن الولاء والبراء لأنه الصورة العملية والتطبيقية لكلمة التوحيد.

الثالثة: غياب هذا الأصل في الواقع رغم وضوحه!..

ومع هذا الوضوح والبيان عن هذه العقيدة فإنا نرى الغياب المذهل لهذه العقيدة عن واقع كثير من المنتسبين للإسلام والانشغال عنها بالاستغراق في ملذات الدنيا وشهواتها.

الرابعة: معاقبة من والى الكفار بنقيض قصده

في قراءة التاريخ واستقراء السنن الإلهية يتضح لنا أن الذين يتولون الكفار من دون المؤمنين يعاقبهم الله بنقيض قصدهم؛ فبينما هم يقصدون العزة بتولي الكفار؛ فإذا أمرهم يؤول إلى نقيض ذلك؛ حيث يقهرهم الكفار ويذلونهم ويستعبدونهم ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾) النساء 138).

وقال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا * كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾) مريم: 81، 82).

وجوب حسم المسلم لموقفه .. «فيم كنتم»

فيا أيها المسلم حدد موقفك وولاءك لمن يكون؛ أهو للكفار والمنافقين والمخذولين؟ أم لأهل الحق القائمين بأمر هذا الدين ونصرته؟ فالأمر خطير ولا يجوز التهاون به.

ولْنتأمل قوله سبحانه عن القاعدين عن الهجرة الذين بقوا مع المشركين في مكة ولم ينضموا إلى المجتمع المسلم في المدينة، يقول سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾) النساء: 97).

يقول القرطبي رحمه الله تعالى عند قوله ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾:

»وقول الملائكة: ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ سؤال تقريع وتوبيخ، أي: أكنتم في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أم كنتم من المشركين« .(2)

ويقول البغوي رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾:

»أي: في ماذا كنتم أو في أي الفريقين كنتم؟ أفي المسلمين أم المشركين« .(3)

ويقول السعدي رحمه الله تعالى عند قوله ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾:

»أي: على أيِّ حال كنتم، وبأيِّ شيء تميزتم عن المشركين؛ بل كثَّرتم سوادهم وربما ظاهرتموهم على المؤمنين، وفاتكم الخيرُ الكثير والجهادُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والكونُ مع المسلمين ومعاونتهم على أعدائهم«(4).

وفي ضوء هذه الآية الكريمة وحديث الطائفة المنصورة ينبغي للمسلم اليوم وفي هذا الصراع المرير الذي تُشن فيه الحرب على الإسلام وأهله من كافة قوى الكفر العالمية ومن والاهم وحالفهم من المنافقين..

على المسلم أن يحدد موقفه من هذا الصراع وأهله، وأن يعدّ لهذا السؤال العظيم: ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾؟ جوابه ويحدد موقفه في أي الفريقين يكون؟ ومع أي الطائفتين يصطف؟ إن الأمر جدٌّ خطيرٌ والتهاون فيه وبالِه شديد.

وجوب معرفة صفات الطائفة المنصورة والانحياز اليها

وبعد هذه المقدمة في بيان خطورة شأن الموالاة والمعاداة وضرورة اليقظة والحذر في أزمنة الفتنة والابتلاءات من الانحياز إلى صف الكفار والمنافقين، ووجوب الانحياز والاصطفاف مع المؤمنين الصادقين في خندقهم وصفوفهم، وهم الذين وصفهم الرسول صلى الله عليه وسلم بأنهم الطائفة المنصورة الثابتين على الحق المجاهدين في سبيله..

بعد هذه المقدمة التي لا بد منها، نصل إلى المقصود من هذه الرسالة؛ ألا وهو بيان المنهج الحق الذي ينبغي للمسلم أن ينتمي إليه وينصره، طريق أهل السنة والطائفة المنصورة؛ وذلك بسرد

الروايات الصحيحة لأحاديث الطائفة المنصورة التي قال فيها أهل العلم: إنها بلغت حد التواتر، والتعرف من خلالها على أهم صفاتها ومواقف الناس منها.

يقول الدكتور عبد العزيز مصطفى كامل:

"إذا كانت أمة محمد صلى الله عليه وسلم هي خير أمة أخرجت للناس؛ وإذا كان أهل السنة والجماعة هم خير فِرَقها؛ فإن «الطائفة المنصورة» التي تواترت بشأنها الأحاديث هم خاصة أهل السنة وخُلاصتهم؛ ولهذه الطائفة ـ التي لن يخلو منها زمان ـ صفاتٌ تمثل مؤهلات نصر ومسوغات تمكين..

وهي في النهاية تكاليف من أخذ الدين بقوة؛ وأمور تُمتثل شرعًا، ولا يُنتظر ظهورها على سبيل التمني قدَرًا، وصفات تلك الطائفة تمثل خطوطًا وخطوات «شرعية»...

نعم شرعية لتصحيح المسار المؤهِّل لتحقيق النصر والعزة للمسلمين.

وتُستفاد خصائص الطائفة المنصورة وصفاتها من الأحاديث الصحيحة الصريحة الواردة بشأنها، ومن آيات وأحاديث أخرى أشارت إليها وفُسرت بها، وهي كلماتُ وحْيٍ أوحى الله بها إلى نبيه الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم؛ ولهذا فهي جديرة بالتأمل والتفكر، واستخراج الفوائد والفرائد والعبر...

وهذه الأحاديث أرجو... ثم أرجو ألا يمر عليها القارئ مرورًا عابرًا، بل يجتهد في استخراج الصفات المطلوبة للنصر منها ومن غيرها، عساه ينال شرف الانتساب لها، والنصح للأمة بنشرها»...(5).

مرويات أحاديث "الطائفة المنصورة"

صحت البشارة عن النبي صلى الله عليه وسلم باستمرار وجود الطائفة المنصورة من هذه الأمة إلى أن يأتي أمر الله؛ لا يضرهم خلاف المخالف، ولا خذلان الخاذل.

جاء ذلك في أحاديث كثيرة عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم..

منهم: المغيرة بن شعبة، ومعاوية بن أبي سفيان، وثوبان، وجابر بن سمرة، وجابر بن عبد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعقبة بن عامر، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وزيد بن أرقم، وعمران بن حصين، وقرة بن إياس، وأبو هريرة، وعمر بن الخطاب، وسلمة بن نفيل الكندي، والنواس بن سمعان، وأبو أمامة الباهلي، ومرة بن كعب البهزي، وشرحبيل بن السمط الكندي، ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم، إضافة إلى المراسيل.

ولذلك صرح عدد من العلماء المعتبرين بتواتر هذا الحديث؛ كشيخ الإسلام ابن تيمية، والسيوطي، والزبيدي، والكتاني، وغيرهم.(6)

وفيما يلي ذكر مرويات الحديث

عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ».(7)

وعن معاوية رضي الله عنه قال: «سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله ما يضرهم من كذبهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك»، فقال مالك بن يخامر: سمعت معاذًا يقول: "وهم بالشام" فقال معاوية: هذا مالك يزعم أنه سمع معاذًا يقول: وهم بالشام.(8)

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يزال ناسٌ من أمتي ظاهرين، حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون».(9)

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك».(10)

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لن يبرح هذا الدين قائمًا، يقاتل عليه عصابةٌ من المسلمين، حتى تقوم الساعة».(11)

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة».(12)

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة».(13)

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة».(14) وأهل الغرب قيل: العرب، وقيل: المراد به الغرب من الأرض وهو الشام وبيت المقدس، وقيل: الغرب أهل الشدة والجَلَد ولا تعارض بين هذه المعاني.

وعن عبد الرحمن بن شماسة المهري، قال: كنت عند مسلمة بن مخلد وعنده عبد الله بن عمرو بن العاص، فقال عبد الله: «لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق، هم شر من أهل الجاهلية، لا يدعون الله بشيء إلا رده عليهم».

فبينما هم على ذلك أقبل عقبة بن عامر، فقال له مسلمة: يا عقبة، اسمع ما يقول عبد الله. فقال عقبة: هو أعلم، وأما أنا فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله، قاهرين لعدوهم، لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة، وهم على ذلك». فقال عبد الله: «أجل ثم يبعث الله ريحًا كريح المسك، مسها مس الحرير، فلا تترك نفسًا في قلبه مثقال حبة من الإيمان إلا قبضته، ثم يبقى شرار الناس، عليهم تقوم الساعة».(15)

وعن أبي عبد الله الشامي، قال: سمعت معاوية رضي الله عنه يخطب يقول: يا أهل الشام، حدثني الأنصاري ـ قال: قال شعبة: يعني: زيد بن أرقم ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق، ظاهرين»، وإني لأرجو أن تكونوا هم يا أهل الشام.(16)

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم فيقول أميرهم: تعال صلِّ لنا، فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله على هذه الأمة».(17)

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين على مَن ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال».(18)

وعن قرة بن إياس المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم، لا تزال طائفة من أمتي منصورين، لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة».(19)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لن يزال على هذا الأمر عصابة على الحق، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك».(20)

وعن سلمة بن نفيل الكندي رضي الله عنه قال: كنت جالسًا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل: يارسول الله، أذال الناس الخيل، ووضعوا السلاح، وقالوا لا جهاد! قد وضعت الحرب أوزارها.

فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه وقال: «كذبوا، الآن الآن جاء القتال، ولا يزال من أمتي أمة يقاتلون على الحق ويزيغ الله لهم قلوب أقوام، ويرزقهم منهم حتى تقوم الساعة وحتى يأتي وعد الله، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وهو يوحى إلي أني مقبوض غير ملبث، وأنتم تتبعوني أفنادًا يضرب بعضكم رقاب بعض».(21)

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: «فُتِحَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فَتْحٌ، فأتيته، فقلت: يارسول الله، سُيبت الخيل وقطع السلاح وقد وضعت الحرب أوزارها، وقالوا: لا قتال. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الآن جاء القتال، لا يزال الله عز وجل يزيغ قلوب أقوام يقاتلونهم، يرزق الله منهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، وعقر دار المؤمنين بالشام».(22)

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم؛ إلا ما أصابهم من لأواء، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك. قالوا: يارسول الله، وأين هم؟ قال: ببيت المقدس، وأكناف بيت المقدس».(23)

وعن مرة بن كعب البهزي رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين على من ناوأهم وهم كالإناء بين الأكلة، حتى يأتي أمر الله عز وجل وهم كذلك» قال: فقلنا: يا رسول الله من هم؟ وأين هم قال: «بأكناف بيت المقدس».(24)

عن عمير بن الأسود وكثير بن مرة الحضرمي قالا: إن أبا هريرة وابن السمط، قالا: لا يزال المسلمون في الأرض حتى تقوم الساعة وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تزال عصابة قوّامة» وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وهم أهل الشام».(25)

وعن محمد بن كعب القرظي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تبرح عصابة من أمتي ظاهرين على الحق لا يبالون من خالفهم حتى يخرج المسيح الدجال فيقاتلونه».(26)

تنويه باستفادة التواتر .. وبشارة

وقد استفدتُ في ذكر هذه الروايات وتخريجها من كتاب الطائفة المنصورة للشيخ سلمان العودة حفظه الله، وذلك ضمن سلسلة الغرباء، وقد عقب على هذه الروايات وتخريجها بقوله:

"وبهذا العرض لروايات الحديث يتبين صحة القول بتواتره؛ حيث رواه تسعة عشر صحابيًّا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجاء عن بعضهم من طرق متعددة، وأخرجه الأئمة في كتبهم كـ«الصحيحين» والسنن والمسانيد والمعاجم والتواريخ وكتب العقائد وكتب الرجال... وغيرها.

وهذا يورث المسلم طمأنينة وإيمانًا وتفاؤلًا بنصر الله لهذا الدين بمقتضى الوعد الإلهي الوارد على لسان النبي صلى الله عليه وسلم".(27)

ذكر بعض صفات الطائفة المنصورة

من خلال التأمل في الروايات السابقة لحديث «الطائفة المنصورة» يتبين لنا أن هذا الحديث المتواتر بمجموع رواياته، أصل جامع لمحاسن الصفات والأخلاق، ولأصول الإيمان والإحسان في العبادة والتوجه إلى الله تعالى ونصرة دينه..

يجد فيه المطيع في أزمنة القوة والعزة دافعًا على المضي في الطاعة وعدم النكول، ودافعًا على تربية الذراري وتمرين الأبناء على ذلك المنهج القويم، حتى يبقى التزام الناس بدينهم واعتصامهم بحبل ربهم نقيًّا جيلًا بعد جيل إلى قيام الساعة..

ويجد فيه الضعيف المغلوب على أمره حافزًا ودافعًا قويًّا على الثبات في أزمنة الضعف والهوان والمحن والفتن.

كما أن الحديث شامل لمعاني التكليف والتشريف معًا، وحصول التشريف لا يكون إلا بفعل التكليف فمن عمل من الأمة بمقتضى الحديث حصل له ما فيه من العزة والكرامة، وبذلك يتم مقصود الحديث.(28)

أبرز صفات هذه الطائفة:

الصفة الأولى:

لا يخلو منها زمان

وهذا الوصف مأخوذ من قوله عز وجل: «لا تزال طائفة»؛ حيث أثبت لها الرسول صلى الله عليه وسلم استمرارية وجودها حتى يأتي أمر الله تعالى قبيل قيام الساعة، ولكنها قد تكون في زمان أكثر وأقوى منها في زمان آخر، وقد تكون في مكان دون مكان، وقد تكون في مكان أقوى وأكثر منها في مكان آخر

و(الحاصل): أن وجود هذه الطائفة مستمر إلى قرب قيام الساعة، وهذا ما تفيده الألفاظ المتعددة في أول الحديث حيث جاءت أكثر الروايات بلفظ «لا تزال»، «لا يزال»، «لن يزال»، وجاءت بعض الروايات بألفاظ مرادفة كقوله: «لن يبرح»، «لاتبرح».(29)

قال ابن عقيل:

معنى (ما زال) وأخواتها: ملازمة المخبر عنه على حسب ما يقتضيه الحال، وأخوات زال: برح، وفتئ، وانفك. وهذه يشترط في عملها أن يسبقها نفي، كـ «ما، ولن، ولا»(30)

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى:

وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة؛ فإن هذا الوصف ما زال بحمد الله تعالى من زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلى الآن، ولا يزال حتى يأتي أمر الله المذكور في الحديث(31)

وهذا الذي قاله النووي يصدّقه الواقع التاريخي.

وكون هذا الوصف ملازمًا لها يثمر في قلب المسلم التفاؤل والأمل بنصرة هذا الدين والتمكين لأهله وإن كانوا في بعض الأزمنة أو الأمكنة مستضعفين، وهذا ينفي اليأس والإحباط عن القلوب؛ فلا يتطرق إليها في حالات الضعف وانتفاش الباطل.

وإذا أيقن المسلم بوجود الحق وأهله واستمراره وعدم انقطاعه؛ فإن هذا الشعور يدفع المسلم إلى البحث عن هذه الطائفة ولزوم غرْزها والانتماء إليها ونصرتها والصبر على ذلك كله.

الصفة الثانية:

كونها طائفة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم

جاء في روايات الحديث لفظ «طائفة» كما جاءت ألفاظ متعددة ومرادفة لكلمة «الطائفة» فجاء في أكثر الروايات «لا تزال طائفة»، وفي بعضها: «لايزال ناس» وفي بعضها: «لا يزال قوم»، وأخرى بلفظ: «لا يزال من أمتي أمة»، وفي لفظ: «لا يزال لهذا الأمر أو على هذا الأمر عصابة»..

وكل هذه الألفاظ متقاربة المعنى، والاختلاف بينها اختلاف تنوع وليس اختلاف تضاد.

دلالات ألفاظ الحديث

ووصْفُها بأنها «طائفة» أو «قوم» أو «ناس» أو «عصابة» من «أمة محمد» صلى الله عليه وسلم يشمل عدة معان ودلالات:

الأول: كونها جزءًا من هذه الأمة كلها

وهذا ما يفهم من كلمة «طائفة» ومن جملة «من أمتي»؛ حيث إن الطائفة هي الجماعة من الناس وجاء تأكيد هذا بلفظ «مِن» التبعيضية؛ وهذا يبين أنهم فئة من المسلمين خصها الله تعالى بصفات محمودة واصطفاها لنصرة دينه، وليست الأمة كلها.

قال الفيروزآبادي:

والطائفة من الشيء: القطعة منه، أو الواحد فصاعدًا أو إلى الألف وأقلها رجلان أو رجل(32)

وقال أيضًا:

القوم: الجماعة من الرجال والنساء معًا أو الرجال خاصة أو تدخله النساء على تبعية(33)

وقال عن العصابة:

هم ما بين العشرة إلى الأربعين(34)

والمقصود من العدد: إن كان مرادًا من ألفاظ الحديث أقل ما يكونون عليه، وإلا فقد جاء ذكرها في الأحاديث مطلقةً غير محددة بعدد، وهذا يُفهِم معنى الكثرة، والكثرة هنا لا يلزم منه لا لغة ولا شرعًا أغلبية العدد وأنهم أكثر من غيرهم.

قال السندي في «شرح سنن ابن ماجه» في المقدمة:

الطائفة: الجماعة من الناس، والتنكير للتقليل أو التعظيم لعظم قدرهم ووفور فضلهم.

ويحتمل التكثير أيضًا فإنهم وإن قلّوا فهم الكثيرون فإن الواحد لا يساويه الألف بل هم الناس كلهم(35)

والجمع بين قول من قال: إن تنكير الطائفة يفيد القلة وقد يفيد الكثرة والتضخيم أن يقال: إن ذلك حسب أحوالهم؛ فقد يكونون قلة في بعض الأزمان كثيرون في غيرها، والله أعلم.

الثاني: شرفها وفضلها

إذا تبين أن هذه الطائفة التي أثنى عليها الرسول صلى الله عليه وسلم هي جزء من أمة المسلمين وليس الأمة كلها؛ فإن هذا يُظهر لنا فضلها وشرفها على من سواها من أمة الإسلام، وأنها تمثل مركز الكمال البشري في سيرتها وسلوكها وجهادها لكمال اتباعها للمنهج الحق الذي كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

وهذا يذكّر بحديث الفرقة الناجية الذي يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم: «إن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين فرقة وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة» قالوا: من هي يا رسول الله قال: «ما أنا عليه وأصحابي ».(36)

علاقة الطائفة المنصورة بالفرقة الناجية

وهنا قد يثور سؤال، بل قد وُجد، ألا وهو: هل الطائفة المنصورة هي الفرقة الناجية أم هي جزء منها فهي صفوتها وذروتها في المعتقد والعمل والصبر والإيمان؟

وبعيدًا عن الجدل الدائر حول هذا السؤال وحرصًا على أن تكون هذه الدراسة تربوية بعيدة عن التنظير والمعرفة الذهنية الباردة أقول وبالله التوفيق:

دوائر أهل الاسلام

إن هناك ثلاث دوائر تمثل أهل الإسلام وبعضها أكمل من بعض:

أهل القبلة

فأما (الدائرة الأولى): وهي أوسعها فهي دائرة أهل القبلة ويدخل تحتها أهل الإسلام المتبعين والمبتدعين ممن ليست بدعهم مكفرة؛ فهؤلاء هم أهل القبلة الداخلين في دائرة الإسلام.

أهل السنة

ـوأما (الدائرة الثانية): وهي أضيق من الأولى؛ حيث تضم أهل السنة والجماعة وهم الفرقة الناجية المتبعين غير المبتدعين، ويخرج عن هذه الدائرة الفرق المبتدعة من أهل القبلة.

الطائفة المنصورة

ـوأما (الدائرة الثالثة): فتشتمل على الكُمَّل من أهل السنة والفرقة الناجية وهي الطائفة المنصورة التي حققت كل صفات الفرقة الناجية وضمت إلى ذلك قيامها بنصرة منهج الحق والدعوة إليه وتعليمه والجهاد في سبيله.

وهم الذين عناهم الله عز وجل في قوله: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: 104).

ويؤيد ما ذكرته آنفًا كلامٌ نفيس للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى يقول فيه:

فأهل الإسلام في الناس غرباء، والمؤمنون من أهل الإسلام غرباء، وأهل العلم في المؤمنين غرباء، وأهل السنة الذين يميزونها من الأهواء والبدع فيهم غرباء.

والداعون إليها الصابرون على أذى المخالفين هم أشد هؤلاء غربة.

ولكن هؤلاء هم أهل الله حقًّا فلا غربة عليهم وإنما غربتهم بين الأكثرين الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (الأنعام: 116).

فأولئك هم الغرباء من الله ورسوله ودينه، وغربتُهم هي الغربة الموحشة وإن كانوا هم المعروفين المشار إليهم(37)

الطائفة المنصورة جزء من الفرقة الناجية

والحاصل: أن الطائفة المنصورة جزء من الفرقة الناجية وليست خارجة عنها، لكنها تميزت بالقيام بنصرة الدين والصبر على ذلك، وكونُهم غرباء لا يعني أنهم قِلة أو كما يتعصب بعض المنتسبين لأهل السنة والجماعة فيحصر هذه الطائفة في مجموعته أو جماعته ويحجر واسعًا.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في أصناف الطائفة المنصورة:

ويحتمل أن هذه الطائفة مفرَّقة بين أنواع المؤمنين..

منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد، وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير.

ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض(38)

وكلام النووي هذا يؤكد أنهم طائفة من أهل السنة أخذت على نفسها الفقه في الدين والدعوة إليه والجهاد في سبيل الله تعالى؛ لنشره وليكون الدين كله لله.

ومعلوم أن الفرقة الناجية وأهل السنة والجماعة، يدخل فيهم عوامهم بل وفُسّاقهم ممن هم على معتقد أهل السنة وسلوكهم بالجملة، لكنهم مشغولون بالدنيا ومتاعها ولا همَّ لهم ولا مشاركة في نصرة الدين وأهله.

ولفظ «الطائفة» فيها معنى الاجتماع والتعاون والارتباط والانطلاق من منهج واحد ثابت، ويؤيد ذلك ما جاء في بعض روايات الحديث: «عصابة».

الصفة الثالثة:

كونها على الحق والصراط المستقيم قائمة بأمر الله

وهذا يؤخذ من وصفه صلى الله عليه وسلم لهم في حديث الطائفة المنصورة بأنهم «على الحق»، أو كما جاء في بعض الروايات: «قائمة بأمر الله»، «على أمر الله»، «على الدين»، وكل ما ورد في هذه الروايات.

فالمقصود من هذا الوصف التمسك بما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام في المعتقد والسلوك والعبادة وحملهم لراية الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما يفيد هذا الوصف الثبات على ذلك.

قال ابن منظور في «لسان العرب»:

والقائم بالدين: المتمسك به الثابت عليه(39)

وهذا يقتضي أنهم أهل علم وفقه ونصرة وأهل إخلاص وقصد حسن.

أما غيرهم من عوام الناس فلا يأخذون القيام بأمر الله منهجًا فقد يفتر بعضهم في أدائه لبعض الواجبات، أو تعجز نفسه فيدعي أنه لا يملك لتأدية الواجب حيلة، ويرى بعضهم الآخر أن غيره يوفي بالفرض الكفائي، فلا علاقة له به.

وآخرون منهم يكونون أبعد الناس عن المستحب تهاونًا به، ويتعذرون بأنه لا إلزام فيه، وناس منهم يصرّون على المعاصي.

فهيهات بين من يطمح أن يكون مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وبين من غاية أمانيه أن ينجو يوم القيامة من الهلاك ولو على خطر. وهذا هو الفرق بين تلك الطائفة والفرقة الناجية التي وردت في حديث تفرق أمة محمد صلى الله عليه وسلم كتفرق اليهود والنصارى؛ إذ كل مسلم ناجٍ إن تغمده الله برحمته، ولكن ليس كل مسلم مع الذين أنعم الله عليهم. (40)

الخارجون عن وصف الطائفة المنصورة

وبهذه الصفة المميزة للطائفة المنصورة يخرج عنهم كل مخالف معادٍ لهم كما يخرج عنهم كل مبتدع مخالف لما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

ويخرج عنهم كل منافق خائن لدينه وأمته، وأخُص منافقي زماننا من دعاة العلمانية والليبرالية والقومية والوطنية الجاهلية وغيرهم.

كما يخرج عنهم كل مخذِّل مثبط لهم أو ساخر منهم ولو كان بالجملة على معتقد أهل السنة.

كما يخرج عنهم كل حزبي متعصب يعقد الولاء والبراء على حزبه يعادي عليه ويوالي عليه.

كما يخرج عنهم كل صاحب هوى ورياء ومن قصْدُه الدنيا وزينتها؛ لأن أهم صفات القائم بالحق الإخلاص وحسن القصد.

الاتباع للسنة هو الوصف الجامع

ونظرًا لاتباع هذا الطائفة للحديث والأثر وكونها معظِّمة لنصوص الوحيين عاملين بها؛ فقد جاء وصفهم بعدة صفات ترجع إلى وصف واحد ألا وهو «الاتباع وعدم الإبتداع»؛ وذلك لكونهم أهل علم وفقه وحديث وأثر وأهل دعوة وإصلاح في الأمة.

قال الإمام البخاري رحمه الله تعالى في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة عند التبويب للحديث ورواياته:

باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق يقاتلون» وهم أهل العلم(41)

ومستنده في تخصيص تلك الطائفة بأهل العلم هو الحديث الثاني من أحاديث الباب عنده، وهو قول معاوية رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم ويعطي الله، ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيمًا حتى تقوم الساعة أو حتى يأتي أمر الله».(42)

ووجه هذا التخصيص ـ والله أعلم: ما ذكره الكرماني رحمه الله تعالى في قوله:

يؤخذ من الاستقامة المذكورة في الحديث الثاني أن من جملة الاستقامة أن يكون التفقه، لأنه الأصل.

وبهذا ترتبط الأخبار المذكورة في حديث معاوية؛ لأن الاتفاق لابد منه(43)

وقال الترمذي:

قال محمد بن إسماعيل البخاري: قال علي بن المديني: «هم أصحاب الحديث(44)

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى:

إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث فلا أدري من هم(45)

قال القاضي عياض موضحًا مراد الإمام أحمد:

إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة، ومن يعتقد مذهب أهل الحديث(46)

ومقولة القاضي هذه تزيل الإشكال الحاصل في تخصيص أهل الحديث دون غيرهم من الفقهاء والزهاد والعُبّاد والمجاهدين.

قال الإمام البخاري في كتاب «خلق أفعال العباد» بعد إيراد قوله تعالى: ﴿لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: 143):

هم الطائفة التي قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون».(47)

وساق الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى بسنده إلى أحمد بن سنان وذكر حديث: «لاتزال طائفة من أمتي على الحق» فقال:

هم أهل العلم وأصحاب الآثار(48)

ولا يفهم من هذه النُّقولات أن هذه الطائفة محصورة بأهل الحديث المهتمين بتخريجه وتحقيقه وقواعده، وإنما المقصود المتبعون للحديث والآثار، في مقابل أهل الكلام، غير خارجين عنها أو معارضين لها بعقل أو رأي أو ذوق أو سياسة.

وسبق قول الإمام النووي رحمه الله تعالى:

قلت: ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين..

منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير.

ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين، بل يكونون متفرقنين في أقطار الأرض(49)

كونهم ظاهرين منصورين

وهذا الوصف يؤخذ من قوله صلى الله عليه وسلم: «ظاهرين على الحق»، وفي رواية أخرى: «ظاهرين على من ناوأهم»، وفي رواية ثالثة: «وهم ظاهرون على الناس»، وفي رواية رابعة «منصورين»، ومن هذا الوصف الأخير سميت «الطائفة المنصورة».

معانى الظهور:

أوضح الشيخ سلمان العودة عدة معاني «للظهور» الذي هو وصف من أوصاف الطائفة المنصورة فقال: «إن الظهور يشمل ـ فيما يبدو ـ ثلاثة معان:

المعنى الأول: الوضوح والبيان

بمعنى الوضوح والبيان، وعدم الاستتار(50)، فهم معروفون بارزون مستعلون.

وهذا ـ في الجملة ـ وصف صحيح لهذه الطائفة؛ لأن تصديها للدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد وإقامة الحجة، يعني: أنها ظاهرة، مشهورة، معروفة المنهج، واضحة الاتجاه، لها علماؤها البارزون المعروفون، ولها مناهجها ووسائلها المعروفة.

وقيام هذه الطائفة بواجب البلاغ والدعوة، وحرب المنكر، وقتال الأعداء، يقتضي أن تكون ظاهرة غير مستترة، حريصة على التبليغ لصوت الحق لكل مسلم، بل ولكل إنسان.

وإن كان هذا لا يمنع أن يستخفي بعض أفرادها بإسلامهم، أو بدعوتهم لملابسات خاصة في مكان معين، وزمان معين؛ فالعبرة بالطائفة جملة، لا ببعض أجزائها، أو بعض أفرادها، والعبرة بالحال العام المستمر الثابت، لا بالحال المؤقت الطارئ.

وهذه الدلالة تؤخذ من مجمل أوصاف الطائفة الواردة في الأحاديث ـ كما تقدم ـ من قيامهم بأمر الله، وكونهم يقاتلون على الحق... وما أشبه ذلك مما يستلزم الوضوح والبيان.

ـالمعنى الثاني: الثبات

ثباتهم على ما هم عليه من الحق، والدين، والاستقامة، والقيام بأمر الله، وجهاد أعدائه؛ بحيث لا يثنيهم عن ذلك شيء من العقبات والعوائق والمثبطات..

فهم ـ كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (المائدة: 54).

وثبات هذه الطائفة على دينها، وتمكّنه من نفوس أفرادها؛ على رغم استحكام الغربة، وكثرة المخالف، وقلة الموافق، واختلاط الأمر، وكثرة الأدعياء؛ هو من أعظم صور الظهور، والقوة العقدية، والانتصار على دواعي الهوى، ومغالبة الصوارف المادية والمعنوية؛ ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (غافر: 51)..

إذن فالنصر ليس صورة واحدة تتحقق في ميدان الحرب والقتال، بل هو صور كثيرة؛ منها: أن يمنح الله أولياءه من الصبر على الدين والعقيدة، وإن أُزهقت الأرواح، وإن عُذبت الأجساد، وإن أوذي الأهل، وإن شُرد الأولاد.

هذا مع يقين المؤمن بأن العاقبة للمتقين في الدنيا والآخرة، والدهر دول، وإن أشكل على بعض المتعجلين حال المؤمنين في حيز محدود من المكان، وفي لحظة محدودة من الزمان، ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (آل عمران: 140).

من معاني الثبات

ويدخل في هذا المعنى غلبتهم بالحجة والبيان، وسيطرة منطقهم على العقول والقلوب؛ لما يعتمدون عليه من الحق الصريح المقتبس من الكتاب والسنة، وهذا يدعو إلى اتباعهم وموافقتهم، «فالحق غلّاب، والباطل خلّاب».

ولذلك نجد بعض أعداء هذه الطائفة ومناوئيها من يذعن للحق الذي تحمل، ويتخلى عما هو عليه من البدعة والضلال، وهذا من أعظم أسباب قهر الأعداء، وشعورهم بالهزيمة أمام سطوة الحق وحجته.

وفي هذا يقول صاحب «عون المعبود»: «ظاهرين؛ أي: غالبين على أهل الباطل، ولو بالحجة».(51)

وكلما كانت هذه الطائفة أوسع علمًا، وأعظم فهمًا للوحي، وأكثر إدراكًا لثقافة عصرها، وأقدر على التعبير عن منهجها؛ كانت حجتها أغلب، وطريقتها أصوب.

ـالمعنى الثالث: الغلبة

وهو الظهور بمعنى الغلبة، وإلى هذا المعنى مال الحافظ ابن حجر رحمه الله، ورجحه على المعنى الأول.

وقد دلت النصوص على هذا المعنى أوضح دلالة.

فقد وصفوا في الأحاديث بكونهم «ظاهرين»، ولا شك أن الظهور يأتي كثيرًا بمعنى الغلبة والتمكن والعلو والظفر؛ كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (التوبة: 33).

وكمـــا فـي قولــه: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ (الصف: 14).

وقوله: ﴿حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ (التوبة: 48).

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ (الكهف: 20)... إلى غير ذلك من الآيات.

وقد أكد إرادة هذا المعنى مجيء روايات أخرى تكاد أن تكون صريحة في ذلك؛ كقوله: «قاهرين لعدوهم»، وقوله: «ظاهرين على من ناوأهم»، وقوله: «منصورين»، وقوله: «لعدوهم قاهرين»..

ولا شك أن هذا وعد رباني على لسان محمد صلى الله عليه وسلم، وليس يشك مسلم في ثبوته وتحققه ووقوعه، خاصة وأن أصل الحديث ثابت متواتر ـ كما سبق ـ وهو يشمل الغلبة والقهر بالحجة ويشمل الغلبة المادية والنصر في القتال.

اجتماع معاني الظهور

ويجوز أن تكون معاني الظهور الثلاثة السابقة كلها واردة وصحيحة؛ فتكون الطائفة المنصورة:

ظاهرة معلنة غير مستترة.

وظاهرة على الدين بالثبات عليه والتمكن منه.

وظاهرة على عدوها بالحجة والبيان وبالقوة والسنان.

وهذا يعطي للحديث أفقًا أوسع مما لو قصر على بعض تلك المعاني دون بعض.

مطابقة الحديث للواقع

وقد يستغرب بعض الناس مثل هذا الوعد بنصر تلك الطائفة، وتمكينها، وظهورها على أعدائها، وقهرها لهم..

ويعجب حين يرى المسلمين كافة في الواقع المشاهَد القائم، وفي فترات عديدة ـ عبر التاريخ ـ قد تعرضوا للغزو من قبل أعدائهم، وسلطوا عليهم، وقهروهم؛ كما حدث أيام التتر، وأيام الصليبيين، وأواخر أيام العثمانيين، وكما يحدث الآن للمسلمين في أغلب الأمكنة من الأرض من تسلط الأعداء عليهم بالقتل والاستضعاف والتشريد والإذلال.

قواعد لمعرفة تطابق الحديث مع الواقع

ولمعرفة مدى التطابق بين الحديث وبين الواقع والتاريخ، يُلحظ ما يلي:

أولًا: الحديث أصل عام لا يعارَض بضعف خاص

فالحديث إخبار عن أصل عام ثابت، لا ينتهي إلا بقبض أرواح المؤمنين قبيل قيام الساعة، ولا يعارض هذا الأصل أن يضعف المسلمون في زمان معين، أو مكان معين، فيسلط عليهم عدوهم؛

لأن هذا أصل آخر يقابل الأصل الأول، وهو أن المسلمين إذا تركوا الجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر سلط الله عليهم الذل.(52)

ولكن ترك المسلمين للجهاد، واشتغالهم بالدنيا ومن ثَمَّ تسليط الذل عليهم وإن وقع؛ إلا أنه لا يمكن أن يستمر ويدوم، وهذا مقتضى ما وعد الله ورسوله، وصدق الله ورسوله.

ومن الخطأ أن ينظر المرء إلى فترة محددة من الزمان، ثم يستشكل تطبيق الحديث عليها، بل عليه أن يمد نظره إلى الماضي وإلى المستقبل.

فأما النظر إلى الماضي:

فيفيد أن الفترات التي ظهر الكفار فيها على المسلمين كانت محدودة مؤقتة، وسرعان ما تهب الطائفة المنصورة؛ لترفع الذل الذي حاق بالمسلمين، وتلحق بالأعداء الهزيمة والنكال.

ومهمة الطائفة المنصورة ـ كما قدمت ـ هي استمرار القيام بالجهاد، وإن تخلت عنه عامة الأمة، فإن كان ثمة عقبات وموانع تحول دونه؛ كانت مهمتها العمل على تهيئة الأسباب؛ لإعلان الجهاد، وإزالة العقبات، وتذليلها.

وأما النظر للمستقبل

فيؤكد أن لهذا الدين جولاتٍ قادمة منتصرة، وأن حالة الاستضعاف والذلة التي يعانيها المسلمون اليوم لا يمكن أن تدوم.

وإن من سنة الله مداولة الأيام بين الناس، وابتلاء بعضهم ببعض، ومن يدري ما الذي سيحدث في مقبلات الأيام؟...

ثانيًا: الظهور على العدو نسبي

أن الظهور على العدو، وقهره، والانتصار عليه، أمر نسبي، وليس يعني بالضرورة الغلبة المطلقة عليه..

بل إن الحيلولة بينه وبين كثير مما يريد، وإحباط مخططاته، أو بعضها، والامتناع عنه، وإلحاق الضرر به، هي من أنواع الغلبة عليه.

ولا شك أن هذا محقق على الدوام، فلم تخلُ الأمة من هذه الطائفة المدافعة في ميدان الفكر والعلم، وفي ميدان الإصلاح الاجتماعي، وفي ميدان الحكم والتشريع، بل وفي ميدان الحرب والقتال في كثير من الأحيان.

وإلا؛ فمن المعلوم أن الأنبياء جميعًا عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم عبر القرون كانوا يجهدون ويحزنون وتصيبهم اللأواء ويتعرضون للهزيمة، وقد يظهر عليهم العدو في بعض الفترات...

ثالثًا: تصور مفهوم «العدوّ» بصورة أوسع

أنه ينبغي تصور مفهوم «العدوّ» بصورة أوسع؛ إذ يدخل في عداوة هذه الطائفة أصناف كثيرة من الناس، ففي أعدائها: اليهود، والنصارى، والمشركون، والمنافقون..

وهؤلاء، وإن كانوا أعداء للمسلمين كافة؛ إلا أن عداوتهم لهذه الطائفة أشد وأعظم؛ لأنها بحكم خصائصها تمثل الثبات واليقظة في الأمة، ومن ثم تحول بين الأعداء وبين تحقيق أغراضهم في المسلمين.

وفي أعدائها أيضًا: الفرق الضالة المنتسبة إلى أهل القبلة، وهم جم غفير، فهي «كالإناء بين الأكلة» وإزاء هذه العداوات الكثيرة والجبهات المتعددة يظهر جليًّا أن هذه الطائفة تُدال على بعض أعدائها، وتنال منهم، بل وتقهرهم..

فهي ظاهرة على كثير من أهل البدع والضلال، وعلى كثير من أهل الردة والكفر، فلها قدر كبير من النصر في أكثر من ميدان، وبأكثر من معنى، ولا يلزم أن يكون لها النصر كله بكل المعاني وفي كل الميادين.(53)

رابعا: الثبات مع شراسة العدو وضخامة الحرب

وأضيف على ما ذكر الشيخ سلمان حفظه الله تعالى في هذه الفقرة من معاني الظهور؛ القول بأنه على ضخامة هذه الحرب العالمية الشرسة من طوائف الكفر والنفاق والبدع على هذه الطائفة إلا أنها باقية ثابتة قائمة بالحق تدعو إليه وتبلغه للناس.

ولو أن نِحلة أو ملة غير ملة الإسلام الحق تعرضت لما تعرض إليه أهل الحق لما بقي لها اسم ولا رسم، ولكنه دين الله الحق الذي تكفل سبحانه بحفظه وبأن يظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، وهذا معنى من معاني الظهور والانتصار.

الصفة الخامسة: القتال والجهاد في سبيل الله تعالى

إن مما يسترعي النظر كثيرًا أن يرد في معظم الأحاديث وصفهم بالمقاتلة على الحق الذي يحملونه:

فهم «يقاتلون على أمر الله»، أو: «يقاتلون على الحق»، أو: «يقاتلون على الدين»، أو: «يقاتلون على أبواب دمشق».

وصرح في بعض الروايات المتقدمة بأن آخرهم يقاتل المسيح الدجال.

وفي أحاديث أخرى جاء الحديث عنهم بمناسبة «إذالة الناس الخيل»؛ أي: إذلالها وإهمالها، ووضعهم السلاح، وقولهم: لا قتال، فقال صلى الله عليه وسلم: «كذبوا؛ الآن جاء القتال».

وهذه الروايات تبين بوضوح أن هذه الطائفة الظاهرة الظافرة المنصورة لم تقف عند حد جهاد الكلمة؛ وبيان الحق، والدعوة إليه بالحسنى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين المسلمين..

بل تميزت مع ذلك بالقيام بواجب الجهاد الشرعي في سبيل الله، وقتال أعداء الله الغزاة من الكفار ومَن يتولاهم، وكونهم يقاتلون على الحق أنهم يحمون الحق ويدعون إليه لأجل أنه الحق وليس لحمية أو عصبية ولا تحت راية عمية، وإنما قتالهم لأجل الحق وفي سبيل الله تعالى..

وهذا يعني استمرار الجهاد والمواجهة العسكرية مع أعداء الدين إلى يوم القيامة؛ لأن الطائفة القائمة به قائمة إلى يوم القيامة.

وقد جاءت نصوص كثيرة في التصريح باستمرار الجهاد ودوامه، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة: الأجر والمغنم».(54)

الارتباط بين الجهاد والطائفة المنصورة

وقد ربط الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى بين هذا الحديث وحديث الطائفة المنصورة، فقال:

لأنه صلى الله عليه وسلم ذكر بقاء الخير في نواصي الخيل إلى يوم القيامة، وفسره بالأجر والمغنم، والمغنم المقترن بالأجر إنما يكون من الخيل بالجهاد، وفيه بشرى ببقاء الإسلام وأهله إلى يوم القيامة؛ لأن مِن لازِم بقاء الجهاد بقاء المجاهدين، وهم المسلمون.

وهو مثل الحديث الآخر: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق».

والمقصود والله أعلم: أن الجهاد لا ينقطع انقطاعًا دائمًا مستمرًّا، بل لا يزال في الأمة طائفة منصورة، تجاهد في سبيل الله أعداء الله، ولكن هذا لا يعارض ما وجد ويوجد في بعض الأمكنة وبعض الأزمنة من ترك الجهاد، مما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم وحذر منه، فوقع في الأمة كما كما أخبر.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد؛ سلط الله عليكم ذلًّا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم».(55)(56).

فقد تترك عامة الأمة الجهاد في سبيل الله، وتخلد إلى الأرض، وتشتغل بالزرع أو غيره من شئون دنياها، وتلهو به عما أُخرجت له من الجهاد وقتال أعداء الله، فيسلط الله عليها الذل والهوان.

مهمة الطائفة المنصورة

وحينئذ تكون مهمة الطائفة المنصورة: الجهاد في الجانبين الأولين:

جانب الدعوة إلى الله وإلى رسوله، ونشر السنة، وحرب البدعة.

وجانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..

إضافة إلى قيامها بالواجب في التهيئة للقتال، وحرب أعداء الله بالسلاح، وعملها على إزالة العوائق والعقبات التي تحول دون الجهاد؛ فإنه إذا وجب عليها القتال والحرب لأعداء الدين؛ فقد وجب عليها الاستعداد لهذه الحرب بكل وسيلة ممكنة، ووجب عليها السعي لإزالة الموانع الحائلة دون قيامها بالواجب، ما استطاعت إلى ذلك سبيلًا.

وبجهود هذه الطائفة ترجع الأمة عامة إلى الجهاد وتخوض الغمرات إلى أعدائها، حتى ينصرها الله، ويعيد لها عزتها ومجدها وكرامتها.

فترك عامة الأمة للجهاد هو وضع مؤقت؛ لأننا نجد أن آخر هذه الأمة من الطائفة المنصورة يقاتل المسيح الدجال.

والجهاد الذي بدأ في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم لا ينتهي حتى آخر الدهر، قبيل قيام الساعة، والطائفة التي أكرمها الله بحمل الراية جيلًا بعد جيل، ورعيلًا بعد رعيل، هي الطائفة المنصورة القائمة بأمر الله».(57)

ومن هنا يظهر التلازم بين هذه الطائفة والعمل الجهادي؛ حيث يستمر الجهاد معها باقيًا ما بقي الصراع بين الحق والباطل وبين الإيمان والكفر والنفاق، غير أنه قد يعظم أثره في زمان أو مكان، وقد يضعف في أزمنة أو أمكنة أخرى

الصفة السادسة: الصبر على اللأواء

الصبر على ما يصيبهم من اللأواء لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم.. وقد جاءت هذه الأوصاف في بعض روايات الحديث السابقة كما في قوله صلى الله عليه وسلم: «لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك».

وقوله صلى الله عليه وسلم في الرواية الأخرى: «لا يضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأْواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك».

ففي هاتين الروايتين بيان أن أهل هذه الطائفة سيتعرضون للابتلاء واللأواء، ووقوف الناس أمام دعوتهم وجهادهم؛ ما بين مخالف لهم من كفار ومنافقين، وما بين مخذل لهم من بعض المسلمين، ولكنهم مع ذلك صابرون ثابتون بتثبيت الله عز وجل لهم وبما من عليهم من صفات اليقين والإخلاص والمنهج المستقيم..

ولذلك جاء في بعض روايات الحديث: «لا يبالون من خالفهم أو خذلهم حتى يأتي أمر الله».(58)

والابتلاء سنة من سنن الله عز وجل التي لا تتبدل؛ فلا نصر لهذه الطائفة إلا بعد أن تتجاوز مراحل الابتلاء بنجاح وثبات، والمتابع لتاريخ هذه الطائفة وما تتعرض له من محن وابتلاءات يرى ذلك جليًا ولكن العاقبة في النهاية النصر لها ولأهلها.

والطائفة المنصورة هي وريثة الأنبياء في العلم والدعوة والجهاد، وكل الأنبياء واجهوا ما واجهوه من الأذى والتكذيب والتخذيل لكنهم صبروا حتى جاءهم نصر الله تعالى، قال تعالى مسليًا نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الأنعام: 34).

وهم الذين عناهم الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله: «إن من ورائكم أيامَ الصبر، للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلًا يعملون مثل عمله.«

وقال عبد الله بن المبارك أحد رواة الحديث:

وزادني ـ يعني: شيخه ـ قال راوي الحديث: «يا رسول الله، أجر خمسين منهم؟» قال: «أجر خمسين منكم».(59)

أسعد الناس ببشارة رسول الله

فمن أسعد بهذا الوصف إلا هذه الطائفة الصابرة المنصورة لصبرها وتمسكها بما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام من الهدى والحق الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإخلاص لله عز وجل في ذلك كله، وعقد الولاء والبراء على الحق والثبات عليه، وعدم التنازل عنه، وتجنب طاعة الكافرين والمنافقين الذين يجهدون في صرف المسلم المجاهد عن دينه..

ولذلك جاء وصفهم في الحديث بأنهم: «لا يضرهم من كذبهم ولا من خالفهم»(60)، و«لا يضرهم من خذلهم»(61)، و«لا يضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء»(62)، و«لا يبالون من خالفهم».(63)

وهذه الألفاظ كلها تجتمع في الدلالة على أن هؤلاء القوم عرفوا طريقهم، فلم يلتفتوا إلى خلاف المخالفين ولا خذلان الخاذلين، ولا تكذيب المكذبين، وإن كانوا يواجهون ذلك كله، ويصيبهم من اللأواء ما يصيبهم.

إحدى جولات الطائفة المنصورة

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وهو يصف أجواء الابتلاء والأهوال التي واجهها المسلمون في جهادهم للتتار إبان غزوهم لبلاد الشام:

«وبيّن فيه الطائفة المنصورة الظاهرة على الدين الذين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم إلى يوم القيامة حيث تحزبت الناس ثلاثة أحزاب: حزب مجتهد في نصر الدين، وآخر خاذل له، وآخر خارج عن شريعة الإسلام.

وانقسم الناس ما بين مأجور ومعذور، وآخر قد غره بالله الغرور، وكان هذا الامتحان تمييزًا من الله وتقسيمًا: ﴿لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الأحزاب: 24)».(64)

وقال أيضًا عن هذه الفتنة والنازلة موجها وصيته لأصحابه المجاهدين معه:

«واعلموا أصلحكم الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قد ثبت عنه من وجوه كثيرة أنه قال: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى قيام الساعة»، وثبت أنهم بالشام؛ فهذه الفتنة قد تفرق الناس فيها ثلاث فرق:

(1الطائفة المنصورة وهم المجاهدون لهؤلاء القوم المفسدين.

(2والطائفة المخالفة وهم هؤلاء القوم ومن تحيز إليهم من خبالة المنتسبين إلى الإسلام.

(3والطائفة المخذِّلة وهم القاعدون عن جهادهم؛ وإن كانوا صحيحي الإسلام.

فلينظر الرجل أيكون من الطائفة المنصورة أم من الخاذلة أم من المخالفة؟**!** فما بقي قسم رابع**!**

واعلموا أن الجهاد؛ فيه خير الدنيا والآخرة، وفي تركه خسارة الدنيا والآخرة؛ قال الله تعالى في كتابه: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾ يعني: إما النصر والظفر وإما الشهادة والجنة؛ فمن عاش من المجاهدين كان كريمًا له ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة، ومن مات منهم أو قتل فإلى الجنة».(65)

المؤمن يغار، والمنافق يترقب

ورحم الله ابن القيم القائل:

»وكفى بالعبد عمى وخدلانًا أن يرى عساكر الإيمان وجنود السنة والقرآن وقد لبسوا للحرب لَأْمته وأعدوا له عدته وأخذوا مصافهم ووقفوا مواقفهم، وقد حمي الوطيس، ودارت رحى الحرب واشتد القتال وتنازلت الأقران: النزالَ النزالَ**!** وهو في الملجأ والمغارات والمُدَّخَل مع الخوالف كمين..

وإذا ساعد القدر، وعزم على الخروج قعد فوق التل مع الناظرين ينظر لمن الدائرة ليكون إليهم من المتحيزين، ثم يأتيهم وهو يقسم بالله جهد أيمانه إني كنت معكم وكنت أتمنى أن تكونوا أنتم الغالبين..

فحقيق بمن لنفسه عنده قدر وقيمة ألا يبيعها بأبخس الأثمان، وألا يعرضها غدًا بين يدي الله ورسوله لمواقف الخزي والهوان، وأن يثبت قدميه في صفوف أهل العلم والإيمان، وألا يتحيز إلى مقالة سوى ما جاء في السنة والقرآن».(66)

أعظم الناس اليوم ابتلاء

واللافتُ في أحوال هذه الطائفة «الطائفة المنصورة» أنها أكثر الناس ابتلاءً، ولاسيما في زماننا اليوم؛ حيث اجتمعت عليهم كل ملل الكفر من نصارى ويهود وشيوعيين ومنافقين وباطنيين

وطواغيت، وناصبهم العداء كل فرق الأمة المبتدعة من الغلاة والمرجئه والتصوف وأهل الحزبيات الضيقة..

كل هؤلاء اجتمعوا عليهم، بالوقوف في طريقهم بكل وسيلة وبخذلانهم والمؤامرات عليهم، ومع ذلك فهم منصورون بإذن الله تعالى ثابتون على الحق لا يزدادون إلا قوة وثباتًا بتثبيت الله تعالى لهم أمام أهل الكفر والضلال من ملل الأرض الذين أجمعوا على حربهم والتنفير منهم.

وهذه سنة الله عز وجل في كل من حمل راية الحق وجاهد في سبيلها من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ولكن العاقبة للمتقين.

الصفة السابعة:

غير محصورين في مكان بعينه

وهذا يعني أنه:

قد يغلب وجودهم في بعض الأمكنة في بعض الأزمنة دون بعضها شرفا للحال لا للمحل

فهم متفرقون في عدة أمكنة ولا يحصرهم مكان واحد..

ومما يؤيد هذا: أن أهل الحق والسنة في زمن الأئمة الأربعة وتوافر العلماء في ذلك الزمان وقبله وبعده لم يكونوا في محل واحد، بل هم في غالب الأمصار؛ في الشام منهم أئمة وفي الحجاز، وفي مصر، وفي العراق، واليمن، وكلهم على الحق؛ يناضلون ويجاهدون أهل البدع، ولهم المصنفات التي صارت أعلامًا لأهل السنة وحجة على كل مبتدع.

وعلى هذا؛ فإن هذه الطائفة قد تجتمع وقد تفترق..

أما ما ورد في بعض روايات «الطائفة المنصورة» من أنهم في الشام أو في أكناف بيت المقدس؛ فإن هذا لا يدل على محدوديتهم في هذا المكان لورود بقية الروايات وهي أكثر بدون تحديد مكانهم..

وإنما يدل على أنهم في بعض الأزمنة كما في قتال التتار والصليبيين واليهود يكون أكثرهم وثِقلهم في بلاد الشام، وكذلك في آخر الزمان يقاتل آخرهم الدجال في الشام، وما سوى ذلك من الأزمنة فهم متفرقون قائمون بأمر الله في بلاد كثيرة.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى عن الطائفة المنصورة في وقته:

أما الطائفة بالشام ومصر ونحوها فهم في هذا الوقت المقاتلون عن دين الإسلام..

وهم من أحق الناس دخولًا في الطائفة المنصورة التي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بقوله في الأحاديث الصحيحة المستفيضة عنه: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خالفهم، ولا من خذلهم؛ حتى تقوم الساعة (67).«وفي رواية لمسلم: «لا يزال أهل الغرب»(68).

والنبي صلى الله عليه وسلم تكلم بهذا الكلام بمدينته النبوية، فغرْبُه ما يغرب عنها؛ وشرقه ما يشرق عنها فإن التشريق والتغريب من الأمور النسبية؛ إذ كل بلد له شرق وغرب..

ولهذا إذا قدم الرجل إلى الإسكندرية من الغرب يقولون: سافر إلى الشرق وكان أهل المدينة يسمون أهل الشام أهل الغرب، ويسمون أهل نجد والعراق أهل الشرق، كما في حديث ابن عمر قال: قدم رجلان من أهل المشرق فخطبا.

وفي رواية: «من أهل نجد» ولهذا قال أحمد بن حنبل: أهل الغرب هم أهل الشام(69).

ولو تأملنا الصفات السابقة للطائفة المنصورة كما جاءت في روايات الحديث لرأينا أنها صفات من اصطفاه الله عز وجل لنصرة دينه والجهاد في سبيله الذين استجابوا لربهم عندما قال لهم سبحانه:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ۖ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾ (الصف: 14)

ولا يخلو بحمد الله تعالى عصر من أنصارٍ لله قائمين بالحق مخلصين لربهم متبعين لنبيهم صلى الله عليه وسلم ، مستعينين بالله عز وجل على مراد الله عز وجل متوكلين عليه، وهذه هي مقومات

النصر وصفات الناصرين لدين الله عز وجل على مراد الله عز وجل لا على مراد النفوس وأهوائها وادعاءاتها.

وقد ذكر الله عز وجل في كتابه الكريم صفات هذه الطائفة بما يؤكد الصفات السابق ذكرها من حديث الطائفة وذلك في سورة المائدة وذلك في قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ .(المائدة: 54-56)

مرتكزات الطائفة المنصورة:

وقد اشتملت هذه الآيات على أهم الصفات والمرتكزات التي يجب توفرها في الطائفة المنصورة ألا وهي:

محبة الله لهم

ـالمرتكز الأول: بذل أسباب محبة الله لهم: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ﴾.

ومحبة الله للمختارين لنصرة الدين، تستوجبها أسباب عديدة، عدَّ الإمام ابن القيم رحمه الله منها عشرة، ووصف منزلة المحبة بأنها: «هي المنزلة التي تنافس فيها المتنافسون، وإليها شخص العاملون، وإلى عَلَمها شمر السابقون، وعليها تفانى المحبون، وبروح نسيمها تروَّح العابدون»(70).

حبهم لله تعالى

المرتكز الثاني: حبهم هم لله ﴿وَيُحِبُّونَهُ﴾

بأن تكون أعمالهم وقرباتهم نابعة من خالص الحب المقترن بخالص التذلل، وهم بهذا يحققون جوهر العبودية التي قال ابن القيم عنها:

معقد نسبة العبودية هو المحبة..

فالعبودية معقودة بها، بحيث متى انحلت المحبة انحلت العبودية.(71)

والمحبة مطلوبة هنا بلوازمها، ومن لوازم محبة العبد لربه كما قال الشيخ السعدي رحمه الله:

»إنه لا بد أن يتصف بمتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ظاهرًا وباطنًا في أقواله وأعماله وجميع أحواله...

كما أن من لوازم محبة العبد لله أن يكثر من التقرب إلى الله بالفرائض والنوافل...

«ومن لوازم محبة الله معرفته تعالى والإكثار من ذكره؛ فإن المحبة بدون معرفة الله ناقصة جدًّا، بل غير موجودة، وإن وجدت دعواها.

ومن أحب الله أكثر من ذكره، وإذا أحب الله عبدًا قبل منه اليسير من العمل وغفر له الكثير من الزلل(72).»

رحمتهم لأهل الإسلام

المرتكز الثالث: التذلل والتواضع والشفقة والرقة والرحمة بأهل الإسلام ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ﴾.

قال على رضي الله عنه كما نقل ذلك عنه ابن جرير في تفسيره: «أهل رقة على أهل دينهم»(73).

فأهل النصرة ليسوا من أهل الغلظة والشدة الذين يستحلون أعراض المؤمنين أو أموالهم أو دماءهم، وإنما هم حافظون أمناء، ورءوفون رحماء، مقتدون برسول الله صلى الله عليه وسلم في رأفته ورحمته:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.(التوبة: 128)

العزة على أهل الباطل

المرتكز الرابع: العزة على أهل الباطل من الكفار والشدة في إبطال باطلهم ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ وبخاصة إذا جاهروا بالعداء، أو ظاهروا الأعداء؛ حيث بذلك تكمل عقيدة الولاء والبراء.

قال البغوي رحمه الله:

﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ يعادونهم ويغالبونهم، كما قال عطاء: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ كالسبع على فريسته(74).

وهذه العِزّة مشروطة بعدم الظلم وعدم الغدر، وعدم النقض للعهود أو الخفر للذمم.

وأهل نصرة الدين لا يتعززون على الكفار انتقامًا لذواتهم، أو تكبُّرًا بخواصهم من عرق أو لون أو جنس، وإنما يفعلون هذا انتصارًا لدينهم، وانتصافًا لكرامة إخوانهم.

يقول سيد قطب رحمه الله تعالى:

فهؤلاء فيهم على الكافرين شماس وإباء واستعلاء، ولهذه الخصائص هنا موضع...

إنها ليست العزة للذات، ولا الاستعلاء للنفس، وإنما هي العزة للعقيدة، والاستعلاء للراية التي يقفون تحتها في مواجهة الكافرين..

إنها الثقة بأن ما معهم هو الخير، وأن دورهم أن يطوّعوا الآخرين للخير الذي معهم، لا أن يطوّعوا الآخرين لأنفسهم(75).

افتداء الدين بالغالي والثمين

المرتكز الخامس: افتداء الدين بالغالي والثمين..

جهادًا بالنفس وجهادًا بالمال وبالوقت والجهد، مع احتساب الأجر على الله وحده: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾..

فالجهاد ذروة سنام الإسلام وأعلى الجهاد وأغلاه الجهاد بالنفس قتالًا في سبيل الله.

فالجهاد المذكور في النصوص الشرعية ينصرف إلى هذا في الأساس، وما عداه من أنواع الجهاد تبَع.

وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم أنصار الدين أو الطائفة المنصورة بأنهم: «يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال.«

وفي زمن استأسد فيه أهل الباطل، وتدججوا بكل أنواع الأسلحة التقليدية وغير التقليدية لا يصح أن يكون أهل الحق (مدجنين) في مواجهة هؤلاء (المدججين). ولن تقوم دعوة الإسلام الكاملة الصحيحة إلا بالمزج بين الأمرين.

قال ابن القيم رحمه الله:

أقام الله الإسلام بالحجة والبرهان، والسيف والسنان؛ فكلاهما في نصرة الدين شقيقان(76).

الصدع بالحق

المرتكز السادس: الصدع بالحق والشهادة بالصدق

مع عدم الاعتبار بإنكار المنكرين ولوم اللائمين في مرضاة الله رب العالمين ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾.

فأنصار الله بمجموع صفاتهم السابقة، سوف يستجلبون حتمًا سخط الساخطين، وتبرم المتضررين من علو شأن الدين، سواء كان هؤلاء من الكفار أو المنافقين أو العصاة المفرطين..

وهنا لا بد لأنصار الله من المضي في سبيلهم المَرضي عند الله دون التفات للومة لائم، أيًّا كان هذا اللائم؛ فمحبة الله ورضاه مقدَّمة على محبة أي مخلوق، وعلى كل مَن سواه:

﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.(التوبة: 24)

وقد بايع المؤمنون الأوائل من المهاجرين والأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم على عدم الخوف من لوم اللائمين في سعيهم لإقامة الدين.

قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه كما أخرجاه في «الصحيحين»: «بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى ألّا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم» .(77)

قال ابن كثير في تفسير ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾:

»أي: لا يردّهم عما هم فيه من طاعة الله وقتال أعدائه وإقامة الحدود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يردهم عن ذلك رادٌّ، ولا يصدهم عنه صاد، ولا يحيك فيهم لوم لائم ولا عذل عاذل«(78).

لا يداهنون

فالمداهنة في الدين ليست من خلق الصادقين ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾.(القلم: 9)

إن القيام بهذه المرتكزات والتخلّق بتلك الصفات يحتاج إلى رجال يستحقون المنة والإفضال من ذي الكبرياء والجلال سبحانه وتعالى؛ ولهذا قال عز وجل عقيب الصفات المذكورة: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.(المائدة: 54)

وبهذا الفضل العظيم يستوفي المؤمنون مؤهلات التمكين وصفات أنصار الدين الموجبة لولاية رب العالمين..

ولهذا قال الله تعالى في الآيات بعدها: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (المائدة: 55-56).

فاللّهم اجعلنا من أوليائك وحزبك، وهيئنا لأن نكون من أنصار دينك؛ آمين(79) !..

الطائفة المنصورة وواقعنا المعاصر

وهذا هو بيت القصيد من طرح هذه الدراسة: وذلك بربطها بواقعنا المعاصر، وأين نحن منها اليوم؟ وما هي التحديات والعقبات التي تواجهها في خضم هذه الأحداث والفتن والنوازل المتسارعة؟ وهذا هو الجديد في هذه الدراسة إن كان ثمة جديد، وإلا فقد سبقت دراسات ليست بالقليلة في مرويات حديث هذه الطائفة رواية ودراية قد كفت ووفت.

وقفات مستقلة

وطلبًا لتسهيل هذا المطلب من الدراسة وتيسير فهمه جعلته في صورة فقرات مستقلة أسميتها وقفات.

وقفةٌ .. بشائر النصر

إن في هذا الحديث الشريف بمجموع رواياته البشارة والأمل للقائمين بنصرة هذا الدين بانتصار الحق وأهله، بل وقُرْب ذلك وظهور أماراته وإرهاصاته مهما اشتد الظلم والعدوان والصد عن سبيل الله تعالى، وهذا التفاؤل بقرب النصر يقطع الطريق على شياطين الإنس والجن مما يبثونه من إحباط ويأس في أوساط المسلمين ليرضوا بالمهانة والإستسلام للأمر الواقع.

ومما يؤكد بشائر النصر وقدومه إضافة إلى ما جاء في حديث الطائفة من بشائر الدلائل التالية:

أولًا: وعد الله تعالى الذي لا يتخلف

قال الله عز وجل: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.(الروم: 47)

ولا يشك في هذا الوعد إلا كافر أو منافق أو ضعيف إيمان جاهل بربه وصفاته، جاهلٌ بسننه في عباده، قال الله عز وجل: ﴿وَعْدَ اللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (الروم: 6-7).

من فقه الآية

والمُلفت في هذه الآية: أن الله عز وجل قد وصف الذين يشكّون في هذا الوعد بأنهم ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: لا يعلمون أشرف العلوم، وهو العلم بالله عز وجل وأسمائه وصفاته وسننه وآياته، ومن ذلك قدرته سبحانه وقوته التي لا يعجزها شيء، ومحبته ومعيته ونصرته لأوليائه، وحكمته، وعلمه في توقيت الأمور وخلقها، ومنها النصر والهزيمة.

ثم وصف هؤلاء الشاكّين الذين لا يعلمون هذا العلم الشريف بأنهم ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾؛ أي لا يؤمنون ولا يقيمون حساباتهم وموازينهم إلا على الأمور المادية المحسوسة في ظاهر الحياة الدنيا، وهذا من أسباب محْقهم وتدميرهم؛ حيث أغفلهم الله عز وجل عن الأسباب الحقيقية للنصر والهزيمة.

وقد ترتب على هذا أيضًا أن أغفلهم الله عز وجل عما يترتب على حماقاتهم وقراراتهم في حرب المسلمين، وهذا يعجّل بنهاياتهم وانهيارهم كما هو المشاهد اليوم، وهذا من بشائر قرب نصر الله عز وجل.

ثانيًا: بلوغ العدو ذروة الغطرسة والظلم

بلوغ الغطرسة عند الأعداء أوجّها وبلوغ الظلم ذروته، والله عز وجل يرى ويسمع ولا يُعجزه شيء، والله عز وجل قد وضع للظلم والظالمين أجلًا ينتهون إليه، فيقصم الظالمين عنده..

والظلم لا يستمر إلى ما لا نهاية، بل إن الله عز وجل يملي للظالم حتى يزداد في ظلمه وكبريائه وغطرسته ليسوقه سبحانه إلى نهايته المحتومة حين يبلغ الظلم مداه، فيأتي وعد الله عز وجل بمحق الظلم وأهله..

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (آل عمران: 178). وقال الله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ (الكهف: 59).

تصديق الواقع لخبر الله

وإن الناظر اليوم فيما يقوم به أعداء الإسلام وعلى رأسهم أمريكا الطاغية من قتل ذريع في المسلمين، وما امتلأت به سجونهم وسجون الظالمين من الدعاة والمجاهدين، ثم هم في غيّهم وغطرستهم يعمهون، وفي ظلمهم يتمادون؛ ليتراءى قرب نهايتهم وانهيارهم..

ومن رحمة الله عز وجل بالمؤمنين واستدراجه للكافرين أنه سبحانه يُغفل الكفار الظالمين عما يترتب على حماقاتهم من قرب نهايتهم وسريان روح اليقظة في قلوب المسلمين، قال الله عز وجل: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (البقرة: 214).

ثالثًا: فضائح الكفار والمنافقين

ما تشهده السنوات الأخيرة من فضائح متلاحقة للمنافقين والكفار والطواغيت والملبّسين التي تكشف عداءهم السافر للدين وأهله، وتكشف معاييرهم الزائفة، وكذبهم ومكرهم..

وكون هذه الفضائح وهذا المكر يظهر للناس؛ فإن هذا من عوامل وقرب النصر للمسلمين؛ لأن بيان سبيل المجرمين وظهور كيدهم وبيان تلبيسهم أمر لازم يسبق محقهم وغلبة المسلمين عليهم.

نوازل الأمة تكشفهم

فهذه نوازل الأمة في أفغانستان والعراق وسوريا ومصر واليمن كم كشفت والحمد الله رب العالمين للمسلمين من فضائح الكفار وعملائهم، وفضائح المنافقين من بني جلدتنا، قال الله عز وجل: ﴿مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ (آل عمران: 179).

وقال سبحانه: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (الأنعام: 55).

شواهد التاريخ وتجربته

ولقد مر بالأمة حين من الدهر خُدعت فيه برايات وهتافات وادعاءات، نراها اليوم تنفصل من جسد الأمة، بعد أن ظهر عوارها وخبثها وولاؤها لأعدائها، وتنكّرها لدينها وعقيدتها، فهاهم الباطنيون الرافضة تنكشف باطنيتهم، ويعرف الناس خبثهم ونفاقهم، وأنهم دين ونحلة غريبة في جسد الأمة تنفصل عنها الآن..

ولولا أن الله عز وجل قدر أحداث العراق وسوريا وليبيا وأفغانستان واليمن ولبنان ومصر؛ لبقي كثير من المسلمين مخدوعًا بهم وبتقيتهم.

وها هي الأنظمة الطاغوتية والنفاق المتمثل في العلمانية والليبرالية ورموزهما تتكشف لأبناء الأمة، فيتبرءون منها، وهي في طريقها إلى الانفصال عن جسد الأمة؛ لتستقر مع أخواتها من النحل الباطلة في مزبلة التاريخ، ويبقى الإسلام الصافي عزيزًا شامخًا..

وهذا الوعي عند الأمة من عوامل نصرها ونصرها قريب ـ إن شاء الله تعالى..

رابعًا: عودة حميدة؛ هداية وتوبة

تلك العودة الحميدة والرجوع الصادق إلى دين الإسلام الحق من كثير وفئام من الناس، سواء من يدخل منهم في هذا الدين من الكفار، أو من يهتدي من أبناء المسلمين الفساق أو من يترك بدعته ونحلته الباطلة إلى منهج السلف أهل السنة والجماعة..

هذا مع ما يبذله المفسدون من نشر للشبهات والشهوات، وصد عن سبيل الله تعالى، ولكنه دين الله عز وجل الذي تحن إليه الفطر النظيفة والعقول الصحيحة والقلوب السليمة، لا سيما بعد أن جرّب كثير من الناس مذاهب ودعوات خداعة، لم يروا فيها إلا العناء والشقاء والكذب والخداع..

فحنين الناس اليوم إلى دين الإسلام الحق ودخولهم فيه أفواجًا من إرهاصات قرب النصر لهذا الدين وأهله.

خامسًا: كوارث وانهيارات وخلافات العدو

تسليط الله عز وجل على دول الكفر الظالمة، لاسيما الغرب الكافر، وعلى رأسه أمريكا الطاغية المتغطرسة..

تلك الكوارث والنكبات التي تفتك الآن باقتصادهم، وذلك بما يعيشونه من انهيارات وإفلاس وعجز مالي، وبما يحصل بينهم من خلافات وتجسسات ستئول بإذن الله تعالى إلى تصدع تحالفاتهم، وبما يعيشونه من جراء ذلك من تفكك بنيتهم السياسية والاجتماعية..

يضاف إلى ذلك ما سبق بيانه من أنهم يعيشون الآن مكروهين عند الناس، بما تكشَّف من فضائحهم ومعاييرهم المزدوجة، وبيان خداعهم للناس، وبما يعيشونه من سقوط أخلاق شهواني ذريع..

وهذا كله يؤذن بإذن الله تعالى بسقوطهم وتفككهم، كما سقط وتفكك المعسكر الشيوعي، وفي هذا تمهيد وإرهاص بقرب نصرة هذا الدين، وظهوره على الدين كله ولو كره المشركون، وذلك بحول الله وقوته.

سادسًا: بدايات يقظة الأمة ونوازل كاشفة

ما تشهده الأمة من يقظة في مختلف جوانبها، وبما تعيشه من نوازل، كشفت لها حقيقة وهوية أعدائها، والتي أفرزت سريان روح المقاومة، وبعث عقيدة الولاء والبراء في النفوس، مما قويت به جذوة الجهاد في كثير من الثغور، واليقين بأنه لن يرفع الذلة والمهانة ويرد كيد الأعداء إلا الجهاد في سبيل الله تعالى، والإعداد له نفسيًّا وإيمانيًّا وماديًّا..

وهذا كله من علامات قرب نصر الله عز وجل لدينه وأوليائه.

نسأل الله عز وجل أن يرفع علم الجهاد، وأن يؤلف بين أهله، ويوحّد صفوفهم، وأن يجنبهم الفرقة والاختلاف، وأن ينصرهم على القوم الكافرين.

هتاف ونداء للدعاة والمجاهدين

وفي خاتمة هذه البشائر أقول لإخواني الدعاة والمجاهدين القابضين على الجمر أصحاب النفوس الكبيرة ممن ركب في سفينة الطائفة المنصورة وقام بنصرة دين الله عز وجل:

بشارة واطمئنان

هنيئًا لكم ما أنتم عليه، فأنتم صفوة الناس، وأولياء الله، ولا أحد أحسن منكم قولًا ولا عملًا ولا غاية: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت: 33)، وأنتم صمام الأمان لمجتمعاتكم وأمتكم بإذن الله تعالى، لأنكم تقومون بما قام به أنبياء الله ورسله، عليهم الصلاة والسلام..

فلا تستوحشوا الطريق، ولا تشعروا بأنكم قلة وضعفاء، فأنتم أقوياء بإيمانكم، وأنتم الأكثرون إذا تذكرتم أنكم ضمن قافلة شريفة عظيمة تنتسب إليها ملائكة الرحمن الذين لا يُحصون عددًا، وأنبياء الله تعالى، والصالحون من عباده، بل والكون كله هو رفيق المؤمنين لأنه مسبح عابد لربه تعالى.

ولم ينفرد عن هذه العبودية الشرعية إلا الكافر الظالم لنفسه، فماذا يساوي بالنسبة لبقية العوالم المستسلمة لربها عز وجل، إنه لا يساوي شيئًا، وإنما هو نشاز عن الطريق اللاحب الواسع الذي هو طريق الله عز وجل وسبيله، قال تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾ (غافر: 4).

صبر محمود العاقبة

واصبِروا على طاعة الله عز وجل وترك معاصيه! ولا يهولنكم ضغط الواقع وشدته! ولا تيأسوا من إصلاح الناس وإقامة دين الله في الأرض؛ فإن العاقبة للمتقين الصابرين، مهما أجلب أعداء الدين وتكالبوا على حربه، ومهما كثر المنافقون والمخذلون؛ فإن العاقبة لأهل الاستقامة الذين ثبتوا على دين الله عز وجل ولم يضعفوا ولم يهنوا ولم يستكينوا، ولم يغيروا ولم يبدلوا وبقوا على الأمر الأول.

قال الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ * إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: 173-175).

وقال سبحانه: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: 22).

زهوق الباطل لا بد منه

إن الباطل وإن صال وجال، وإن علا في زمان أو طال؛ فإنه ولا ريب سيعود إلى ما كان عليه من التراجع والصغار، وتلك سنة من سنن الحكيم القهار، وقد وعد أصدق الواعدين سبحانه بذلك: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ (الأنبياء: 18)؛ وذلك أن هذا هو طبيعة الباطل: ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (الإسراء: 81).

وإن الذي يمكث ويبقى هو ما ينفع الناس: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ (الرعد: 17).

إن المؤمنين الصابرين موعودون إحدى الحسنيين؛ فإما شهادة تعجّل بهم إلى دار النعيم والكرامة، وإما نصر تقرّ به عيونهم؛ ففيم اليأس والأسى؟ أما غيرهم فبم يفرحون؟! وبم يسرّون؟ أبالنار التي إليها يسيرون؟ أم بالعذاب الذي إليه يساقون؟ أم بالخسارة التي إليها يهرعون؟!

ولقد قال الحكيم العليم سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ * لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (الأنفال: 36-37).

ولقد كانت غايتهم من إنفاق أموالهم الصد عن سبيل الله فسيخسرون أموالهم، ثم تصير نفقتهم ندامة عليهم..

ومن نصر الله لدينه أن جعل الزمان لا يخلو من أهل الحق، الصابرين في سبيله، الذين يعضّون بنواجذهم عليه، ويتحملون في سبيله كل أذىً وقتال..

كما جاء في حديث الطائفة عن الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله، وهم ظاهرون على الناس»(80)، وهنيئًا لمن لحق بهم وركب في سفينتهم.

المستقبل لهذا الدين

إن الخوف على أنفسنا لا على دين الله، الخوف على أنفسنا في عالم تموج به الفتن أن يتخبطنا الشيطان فتزِلّ بنا القدم أو يضل بنا الفهم..

أما دين الإسلام فقد تكفل الله ببقائه وحفظه ونصره، ولا علينا أن يصيبنا ما يصيبنا في سبيل نصره وتمكينه.

عن تميم الداري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعزِ عزيزٍ، أو بذلِ ذليلٍ؛ عزًّا يعز الله به الإسلام، وذلًّا يذل الله به الكفر»(81).

وفي الحديث الصحيح الآخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

«إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأُعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي ألا يهلكها بسنة عامة، وألا يسلط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد، إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة عامة، وألا أسلط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم مَن بأقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا، ويسبي بعضهم بعضًا» (82).

وإن من سنن الله عز وجل: أن المستقبل لهذا الدين، والنصر لأوليائه الصادقين، مهما كاد الكائدون، وتآمر المتآمرون، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: 21)، إنهم كما أخبر الله عز وجل: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ

الْكَافِرُونَ﴾ (التوبة: 32)، إنهم يكيدون الليل والنهار ويمكرون، والله خير الماكرين، وهو سبحانه ولي المؤمنين المتقين.

جولة للباطل لا إدالة مستقرة

ولئن كان لليهود اليوم صولة وجولة، وكان للنصارى مظاهرة لهم وممانعة، ولئن حرِص من حرص من حكام زماننا ممن خانوا دينهم وأمتهم فطبّع العلاقات معهم وأقرّهم على ديار المسلمين، ولئن ظن بعض المنهزمين أن لا قدرة عليهم، فقد جاءت البشارة بأن خاتمة المطاف تحمل نصرًا للمسلمين وإبادة لهم؛ إبادة يتعاون مع المسلمين فيها الحجر والنبات.

أخبر عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تقاتلكم اليهود، فتسلطون عليهم، حتى يقول الحجر: يا مسلم، هذا يهودي ورائي فاقتله»(83).

وفي رواية أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبدالله هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله! إلا الغرقد؛ فإنه من شجر اليهود»(84)(85).

إن العاقبة للمتقين الصابرين، مهما أجلب أعداء الدين وتكالبوا على حربه، ومهما كثر المنافقون والمخذّلون؛ فإن العاقبة لأهل الاستقامة الذين ثبتوا على دين الله عز وجل ولم يضعُفوا ولم يهِنوا ولم يستكينوا..

ومهما كانت قوة الحرب المشبوبة على الإسلام فإنها لا تُفقدنا الثقة المطلقة في أن المستقبل لهذا الدين، لقد صمد الإسلام في حياته المديدة لما هو أعنف وأقسى من هذه الضربات الوحشية التي توجه اليوم إلى أبناء الدعوة الإسلامية في أغلب بقاع الأرض.

الإسلام محور حماية الأمة والأوطان

إن الإسلام هو الذي حمى الله به الوطن الإسلامي في الشرق من هجمات التتار كما حماه من هجمات الصليبيين على السواء، والمماليك الذين حموا هذه البقعة من التتار لم يكونوا من جنس

العرب ولكنهم صمدوا في وجه المهاجمين حميّة للإسلام لأنهم كانوا مسلمين، صمدوا بإيحاء من العقيدة الإسلامية وبقيادة روحية من الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

لقد كافح الإسلام وهو أعزل؛ لأن عنصر القوة كامن في طبيعته كامن في بساطته ووضوحه وشموله وملاءمته للفطرة البشرية وتلبية لحاجاتها الحقيقية..

كامن في الاستغناء عن العبودية للعباد بالعبودية لله رب العباد، وفي رفض التلقي إلا منه، ورفض الخضوع إلا له، ومن ثَمَّ لا تقع الهزيمة الروحية طالما عمر الإسلام القلب، وإن وقعت الهزيمة الظاهرية في بعض الأحايين لحكم ربانية.

ومن أجل هذه الخصائص لهذا الدين يحاربه أعداؤه هذه الحرب المنكرة، ولكن الأمر الذي لا شك فيه على الرغم من حرب الأعداء وكيدهم أن المستقبل للإسلام وأهله.(86)

سنن مترابطة تتعلق بنفوسنا

ولكن ذلك مرهون بأن نحقق ـ معاشر المسلمين ـ أسباب النصر، وأن نغيّر ما بأنفسنا، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد: 11).

وإن لم نغير ما بأنفسنا فلا يعني هذا ألا يكون نصرٌ لهذه الأمة ودينها، بل سينصر الله عز وجل دينه ويظهره على الدين كله ولكن بقوم آخرين يتحقق فيهم أوصاف من ينصرهم الله عز وجل، قال الله عز وجل: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ (محمد: 38).

فها هنا ثلاث سنن إلهية مترابطة يكمل بعضها بعضًا:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم: 47).

الثانية: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد: 11).

الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ (محمد: 38).

فنصر الله عز وجل آتٍ لا محالة إما على أيدينا إن نحن غيّرنا ما بأنفسنا إلى ما يحبه الله ويرضاه، أو يستبدل بنا قومًا آخرين تتحقق فيهم صفات عباد الله المؤمنين فينصرهم.

فنسأل الله عز وجل أن ينصر بنا دينه، وأن يجعلنا ممن ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (المائدة: 54).

وقفة ثانية:

الطائفة المنصورة لا تنحصر في حزب أو جماعة بعينها

الطائفة المنصورة هي كما جاء في الحديث طائفة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم المسلمة، وليست هي طائفة المسلمين..

فمن يزعم أنه هو وجماعته وحزبه هم الطائفة المنصورة ويحصرها بذلك؛ فهذا انحراف عن منهج الطائفة المنصورة، ومن عقَد الولاء والمحبة على جماعته وحزبه فقد خالف منهج الطائفة المنصورة؛ إذ الطائفة المنصورة أوسع وأشمل من هذه الحزبية الضيقة.

فهم كما قال الإمام النووي رحمه الله تعالى:

ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين، منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدِّثون، ومنهم زُهّاد، وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونوا متفرقين في أقطار الأرض.(87)

من يمثلهم في واقعنا المعاصر

وبناء على هذا المفهوم الواسع للطائفة المنصورة نستطيع القول بأنهم في واقعنا المعاصر يمثلون كل من قام لنصرة دين الإسلام الحق على منهج السلف الصالح يبتغي بذلك وجه الله عز وجل مستعينًا بالله تعالى متبرئًا من الحول والقوة، وهذه الأوصاف اختصرها الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في قوله: «من قام بالحق لله وبالله».(88)

وإذا أردنا أن نتعرف عليهم في واقعنا المعاصر فسنجدهم الفئات التالية:

فئة العلماء العاملين المبلغين الدين الحق للناس والقائمين بجهاد الحجة بالبيان، الذين ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين فيبينون للناس بنور علمهم سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين، ويقودون الأمة إلى العزة والكرامة، ويحيون فيها عقيدة الولاء والبراء والمعاداة في الله والموالاة فيه.

فئة المجاهدين في ثغور المسلمين الذين نفروا للدفاع عن ديار المسلمين وجهاد الكفار والغزاة في كل صقع من أصقاع المسلمين، وكانوا على منهج السلف في العقيدة والسلوك.

فئة المحتسبين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر والمتصدين لكل مفسد كافر أو منافق وفاسق يريد نشر الرذيلة والتغريب في مجتمعات المسلمين.

فئة الدعاة والمربين الذين نفروا للدعوة إلى الله عز وجل بمختلف وسائلها، واهتموا بجانب التربية والتزكية لأبناء المسلمين وهيئوا لهم محاضن وأجواء ومناهج تحقق لهم أهدافهم.

فئة المناصرين والداعمين والمحبين للفئات السابقة المخذلين عنهم الذابّين عن أعراضهم، الفرحين بوجودهم، وذلك كالأغنياء الصالحين الداعمين للفئات السابقة بأموالهم..

وفئات الوجهاء المناصرين لهم بجاههم ومكانتهم، وفئات المحبين لهم من أهل الإعلام ومواقع الشبكة العنكبوتية الذين يعرّفون الناس بالطائفة المنصورة وفئاتها ويدافعون عنها ويبينون فضلها وجهادها وأثرها في الناس، ويدفعون عنها شبهات المشبهين وتلبيس الملبسين من الكفار والمنافقين.

وبالجملة؛ فيدخل في الطائفة المنصورة كل داعم محب لها معادٍ لأعدائها ناصح لها باذلًا دعاءه لهم من عامة وخاصة.

من يخرج عنها اليوم

ومن لم يكن من هذه الفئات السابقة بأن كان مخالفًا للطائفة المنصورة أو مخذلًا لها أو متفرجًا لا يهمه إلا أمور دنياه وأهله وولده، ولا عليه بعد ذلك ما أصاب الإسلام والمجاهدين في سبيله الداعين إليه لا يفرح لفرحهم ولا يحزن لمصابهم..

فإن كل أولئك غير داخلين في الطائفة المنصورة وإن لم يكونوا على درجة واحدة في الإثم والعداء؛ فالمخالف لهم يدخل فيهم الكفار والمنافقون ودونهم المبتدعة من أهل القبلة، والمخذل في الغالب يكون من المنافقين أو من أهل السنة القاعدين.

لزوم النقص، وتوزع فروض الكفاية، يمنع الادعاء:

إنه لا يمكن لفئة بعينها وبخاصة في عصورنا المتأخرة أن تقول إنها جمعت صفات الطائفة المنصورة كلها أو أنها أحق بها من غيرها؛ لأن تكاليف الشريعة من فروض الأعيان والكفايات موزعة على الجميع من جهة، ولأن النقص متلبس بالجميع من جهة أخرى... ولولا وجود هذا النقص البيّن لما تأخر النصر.

ويمكن تدارك هذا النقص؛ بل يجب تدراكه. والمطلوب ممن يرجون النصر والعزة أن ينصر السنة ويجتمعون عليها ابتغاء وجه الله تعالى، وحتى يكونوا حقًّا من أهل السنة والجماعة المنصورين المستجمعين لمؤهلات نصر الطائفة المنصورة.

توزُع المهام يوجب التوادّ والتعاون

النظر إلى تنوع الفئات السابق ذكرها والتي نفرت لنصرة هذا الدين، وكأنها جامعة مشتملة على كليات وتخصصات عدة يكمل بعضها بعضًا، وتجمعها جامعة واحدة، وإن اختلفت وسائل النصرة من السيف إلى البيان إلى التربية والاحتساب والدعوة إلى الله عز وجل.

والنظر إلى هذا الاختلاف على أنه اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، وبناء على هذه النظرة فإن التعاون والتواد بين هذه الفئات هو الذي ينبغي أن يسود كما ينبني عليه أيضًا أن تفرح كل طائفة نفرت في مجال معين بما تقوم به الطائفة الأخرى من جهاد وتبذل لها الدعاء والمعونة حسب الاستطاعة.

وعلى هذا فإنه لا يسوغ لطائفة نفرت في جهاد الغزاة الكافرين باليد والسنان أن تهوِّن من شأن من نفرت في جهاد العلم والدعوة والبيان، لكونها لم تنفر في جهاد السنان..

وكذلك الحال بمن نفر في جهاد البيان أو التربية والتحصين لا يسوغ له أن يهون من شأن من نفر للدفاع عن بلدان المسلمين بالسنان..

بل ينبغي لكل طائفة أن تنظر إلى أختها التي نفرت في عمل آخر على أنها تقوم بنوع من الجهاد تسانده وتفرح بما يتحقق على يد أفرادها من خير يُفتح أو شر يُغلق.

نعم؛ من استطاع أن يضرب مع كل طائفة بسهم، فيكون من أهل الثغور في جهادهم، ومع أهل العلم والبيان وردّ شبهات المشبهين في بيانهم، ومع المربّين وأهل الاحتساب في احتسابهم وتربيتهم؛ فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ولكن أهله قليل وليس في مقدور أكثر الناس.

وقفة ثالثـــــة:

وجوب البحث عن، والانتماء الى، الطائفة المنصورة

الانتماء إلى الطائفة المنصــورة وصبر النفس مع أهلها على ما يصيبهم من اللأواء..

بعد أن تبين لنا صفات الطائفة المنصورة وخصائصها وأنها باقية إلى أن يقاتل آخرها المسيح الدجال لم يبق للمسلم الذي يريد لنفسه النجاة في الدنيا والآخرة إلا أن يبحث عنها وينتمي إلى منهجها وإلى ما تتصف به من الفهم الصحيح والعقيدة النقية والقصد الحسن..

وقد تكون في بعض الأزمنة أو الأمكنة قليلة أو مستضعفة؛ فعلى المسلم أن يتحسس أهلها وينصرهم حتى يكثر سوادهم وتقوى شوكتهم.

الاستعانة برب العالمين للاهتداء

وإن الاهتداء لهذه الطائفة المباركة لا يكفي للمسلم فيه أن يجد هذه الطائفة ويعرف أهلها، بل عليه أن يسأل ربه العون والهداية والتوفيق قبل ذلك وبعده..

فكم من عارف للحق وأهله منعه الهوى وحظوظ النفس من قبوله، بل وُجد من عادى الحق وأهله مع إقراره بأنهم على الحق وهو على الباطل نعوذ بالله من ذلك.

فلا توفيق إلا بالله ولا هادي لمن أضل الله ولا مضل لمن هداه؛ ولذا وجب سؤال الله عز وجل الذي بيده قلوب العباد وهدايتهم..

الاهتداء للحق بمعرفته أولًا والانقياد له ثانيًا.. وهذا هو صراط المنعم عليهم الجامعين بين معرفتهم بالحق وانقيادهم له.

ومن الأدعية التي كان النبي صلى الله عليه وسلم وهو رسول الهداية والحق يواظب عليها في افتتاح صلاة الليل قوله صلى الله عليه وسلم:

«اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، إهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم».(89)

زاد الصبر في الطريق

فيوطن المسلم الذي شرفه الله عز وجل بأن يكون من هذه الطائفة على الصبر مع هذه الطائفة؛ وذلك على ما يصيبهم من اللأواء والابتلاءات والعقبات التي اقتضتها سنة الله عز وجل وحكمته في الصراع بين الحق والباطل واقتضت سنته سبحانه في هذا الصراع أن تكون العاقبة فيه للمتقين الصابرين.

قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (آل عمران: 120).

وقال سبحانه: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (آل عمران: 186).

مظاهر العداوة الموجبة للصبر

وقد ظهرت هذه العداوة وهذا الكيد من الكفار والمنافقين على هذه الطائفة بشكل جلي في هذه السنوات الأخيرة من واقعنا المعاصر..

حيث ركز الغرب والشرق (الكافران) ومن حالفهم من المنافقين حربهم وحقدهم على المسلمين السنة بعامة، وعلى الطائفة المنصورة من أبناء السنة التي رفضت إملاءات الكفرة والمنافقين، وأصرت على التمسك بالعروة الوثقى التي هي دعوة الأنبياء من اتبعهم من الموحدين، ورفعوا راية المعاداة والموالاة في الله سبحانه، وجاهدوا في سبيلها ورفضو الإسلام المحرف المفرغ من مضمونه وأصوله وثوابته ـ بخاصة.

نعم؛ لقد رفضوا هذا الإسلام الذي تريده أمريكا ومعها الغرب والشرق والمنافقون، الإسلام المبدل المحرف، ومَن لم يلبس هذا الثوب المفصل في أمريكا عن الإسلام فهو المتطرف الإرهابي الذي يجب أن يحارَب ويمحَى من الوجود.

وقد انطلقت هذه الحرب على خمسة أصعدة: على الصعيد العسكري، والصعيد الفكري العقدي، والصعيد الاقتصادي، والصعيد السياسي، والصعيد الإباحي واللاأخلاقي.(90)

ويمكن وصف هذه الحرب بأنها حرب عالمية شاملة على هذه الطائفة ولكن يأبى الله عز وجل إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، ولا خوف على دين الله عز وجل؛ فقد تكفل الله بحفظه وظهوره على الدين كله ولو كره المشركون..

وإنما الخوف على أنفسنا إن نحن نكلنا وتقاعسنا عن نصرة دين الله عز وجل وخسرنا هذا الشرف العظيم فأعطاه الله لغيرنا: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ (محمد: 38).

لا يستخدموك .. ولا يهولنّك أمرهم

فانظر أخي المسلم واحذر من فتنة هذه الحرب التي استخدم فيها العدو الكافر ما في إمكانياته من الإعلام والمال والسلاح والعملاء..

بل وساعدهم في ذلك المنافقون والخونة من بني جلدتنا واستخدموهم ذراعًا يضربون به الإسلام الحق وأهله، بل بلغ من خبثهم وكيدهم أن وظفوا أقوالًا ومواقف بعض المنتسبين للعلم والدعوة من أبناء المسلمين في حربهم وتحقيق أهدافهم.

فاحذر أيها المسلم أن يستخدمك أعداؤك الكفرة في مشاريعهم ويوظفوك في حربهم وعداوتهم لإخوانك السنة وأنت لا تشعر، ولْيكن همك إرضاء ربك بالإخلاص له والمتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومعاداة أعداء الله وموالاة أولياء الله..

ولا يهولنك قوة اليهود والنصارى والكفار بعامة فيدفعك ذلك إلى محاولة إرضائهم وقبول مساومتهم..

فوالله لقد أصبحت عداوتهم مكشوفة مفضوحة ابتداء من هيئة الأمم الكافرة ومجلس الخوف الإجرامي، ومن فيه من أهل الفيتو أئمة الكفر؛ حيث لا يوجد طائفة في الأرض يحاربها العالم بأسره إلا طائفة أهل السنة المنصورة..

فهل تريد أخي المسلم أن تلقى الله عز وجل والنصارى والكفار راضون عنك أم تلقاه وهم يحاربونك ويحاربون عقيدتك وطائفتك التي وصفها الله عز وجل ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ (المائدة: 54) وفي هذا رضا الله عز وجل وجَنّاته.

وقفة رابعة:

المرأة المسلمة

إن الحرب التي يشنها العدو الكافر على عقيدة المسلمين وتدمير بلدانهم واقتصادهم لم تَسلم فيه المرأة المسلمة من هذه الحرب، بل كانت في سلم الأولويات في مشروع الكفار وحربهم..

حيث ما فتئوا منذ زمن ـ ولاسيما في الأزمنة المتأخرة ـ يوجهون سهام الفساد والرذيلة والشبهات على المرأة المسلمة لتبدِل دينها وسلوكها، ولترخص عرضها كما هو الحال عندهم في المرأة الغربية ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ (النساء: 89).

ولما كان الأمر كذلك فلا جَرَم وجب على المرأة المسلمة المعاصرة أن تحذر من هذه الحرب المدمرة..

وذلك بانتمائها إلى طائفة أهل السنة القائمة بأمر هذا الدين ونصرته، وأن يكون لها دورها ومكانها المؤثر مع هذه الطائفة بما يناسب ظروفها وأوضاعها الاجتماعية، وأن يكون للداعيات وطالبات العلم منهن أثر في أخواتهن المسلمات والسعي في بيان العقيدة الصحيحة وتهيئة المحاضن الدعوية والتربوية لبنات جنسهم.

والمقصود؛ أن تشعر المرأة المسلمة بدورها في نصرة هذا الدين وبيان سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين ومواجهة الشبهات والشهوات التي يسعى أعداء هذا الدين من كفار ومنافقين في بثها في مجتمعات المسلمين، ولاسيما فيما يتعلق بشئون المرأة ودينها وأخلاقها وأسرتها.

وقفة خامسة:

إياك أن تخذلهم

احذر أخي المسلم أن تكون مخذلًا لطائفة أهل السنة المنصورة واحرص في المقابل أن تكون مخذلًا عنهم ناصرًا لهم..

ففرقٌ بين خذلانهم والتخذيل عنهم؛ فالأول مذموم والثاني محمود؛ لأن الخاذل لهم قد وضع نفسه ـ شعر أم لم يشعر ـ في صف المخالفين المعادين لطائفة أهل السنة، بينما المخذل عنهم يعد مناصرًا لهم ذابًّا عن أعراضهم يوالي من والاهم ويعادي من عاداهم..

وقد مر بنا في أكثر روايات حديث الطائفة المنصورة أن هناك من سيخالفهم وهناك من سيخذلهم.

من صور الخذلان

ونظرًا لأهمية هذه المسألة أسوق بعض الصور المذمومة في خذلان الطائفة المنصورة.

وفي بيان هذه الصور يتبين في مقابلها صور مناصرتهم والتخذيل عنهم، وهي أضدادها وعكسها وكما قيل أيضًا:

وبضدها تتبين الأشياء

وقيل:

والضد يظهر حسن الضد

فمن صور الخذلان لهم:

1- قبول الشائعات التي يثيرها عليهم أعداء الحق من الكفار والمنافقين ومن تأثر بشبهاتهم، وأسوأ من ذلك مشاركة هؤلاء المرجفين في نشر شبهاتهم في إعلامهم المغرض ضد طائفة الحق.

2- الاستماع للسخرية من هذه الطائفة والنيل من أعراض أهلها والتهم المثارة حولهم دون رد لهذه السخرية وإنكار لها، ودون الذَّب عن أعراضهم ونصرتهم ممن ظلمهم والبقاء مع الخائضين في هذا الباطل والعدوان في مجالسهم من غير إنكار أو هجر لهم.

وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «مَا مِن امْرِئٍ يَخْذُلُ مُسْلِمًا فِي مَوْطِنٍ يُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ، وَيُنْتَقَصُ فِيهِ عِرْضُهُ إلا خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ، وَمَا مِن امْرِئٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْطِنٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ وَتُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ إلا نَصَرَهُ اللَّهُ عز وجل فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ».(91)

3- محاولة الإرجاف بهذه الطائفة وأهلها والسعي إلى تثبيطهم ونشر الإحباط واليأس في صفوفها؛ وذلك بالتقليل من شأنها وإمكانياتها وتضخيم قوة أعدائها وامكانياتهم.

4- عدم المبالاة بما يحصل لهم من ظلم أو عدوان أو ابتلاءات أو الشماتة بهم.

5- عدم الوقوف معهم في ملمّاتهم وحاجاتهم المالية والدعوية مع القدرة على ذلك.

6- نقد أخطاء بعض أفرادها التي هي من طبيعة البشر بصورة علنية وعلى منابر عامة ومحاولة تعميم هذه الأخطاء على الطائفة كلها وعلى منهجها؛ مما ينتج عنه خدمة لأعدائهم الذين يقومون بتوظيف هذا النقد الموجَّه لهم في مزيد من تشويه صورتهم عند الناس وفي تبرير المزيد من الظلم والعدوان عليها..

ولا يعني ذلك ترك الأخطاء بدون نصح وتصحيح، وإنما المقصود اجتناب النصح بصورة علنية تخدم الأعداء.

هذه بعض صور الخذلان لطائفة السنة ـ المنصورة ـ من قبل إخوانهم القاعدين من أهل السنة، إذ لا يتصور الخذلان من عدو كافر أو منافق..

وإنما يأتي الخذلان في العادة من الصاحب والمعاشر، فلا يقال: خذلني عدوي، وإنما يقال: خذلني صاحبي!

الوقفة السادسة والأخيرة

وصايا لعموم الأمة

أضمِّن هذه الوقفة بعض الوصايا التي أوصي بها نفسي وإخواني من طائفة السنة المنصورة في وقت رماهم الأعداء في أنحاء الكرة الأرضية من قوس واحدة في معركة شرسة احتدمت بين الحق والباطل..

وكشف فيها العدو الكافر من نصارى ويهود وشيوعيين وباطنيين أهدافهم في هذه الحرب، وأنها مع الإسلام الحق وأهله..

وتعاونوا وتحالفوا وتناسوا خلافاتهم أمام عدوهم المشترك الذي أقضَّ مضاجعهم فخططوا بالليل والنهار للقضاء عليه، وأنَّى لهم ذلك ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾! (الصف: 32)

الوصية الأولى

إدراك ووعي بحقيقة الصراع العقدي

على المسلمين بعامة والقائمين بنصرة هذا الدين بخاصة أن يعوا حقيقة الصراع مع الباطل، وأنها حرب عقدية دينية وليست حربًا اقتصادية أو سياسية أو طائفية أو ما يسمونه بالحرب على التطرف والإرهاب..

فكل هذه الادعاءات التي يعلنها الكفرة وإخوانهم المنافقون كهدف من حربهم على بلاد المسلمين وتدميرها كذب وخداع وافتراء وتغطية لحرب لا هوادة فيها على الإسلام الحق وأتباعه، والذي يمثله أهل السنة والجماعة، القائمون بأمر الله، الناصرون لدين الله.

إنها حرب على كتاب الله عز وجل وهدْي نبيه محمد صلى الله عليه وسلم المتمثل في الدعوة إلى التوحيد الخالص والخلوص والبراءة من الشرك وأهله، وما يقتضي ذلك من موالاة الموحدين والبراءة من الكفار والمنافقين، والدعوة إلى ذلك، ورفع راية الجهاد في سبيل الله عز وجل لتحقيق ذلك..

هذا هو ما قاله الله عز وجل في كتابه وحث المؤمن عليه.

إن هذه المفاهيم القرآنية والتوجيهات النبوية هي التي يقول عنها الأعداء الكفرة: إنها مفاهيم تطرف تدعو إلى الكراهية والإرهاب، وإلا فما موقفهم من قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾؟! (المائدة:51)

وقوله عز وجل: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾؟! (التوبة: 29)

وغيرها وغيرها من الآيات التي يقول الكفار عن المؤمنين بها العاملين بمقتضاها إنهم متطرفون!

حقيقة مقصودهم بالتطرف

إذن؛ فعداوة الكفار للإسلام والقرآن ليست كما يزعمونه ـ مكرًا وخداعًا ـ أنها ضد المتطرفين؛ فالإسلام نفسه والقرآن نفسه عندهم هو دين التطرف وكتاب التطرف.

وهذا ما ينبغي أن يعيه المسلمون ولاسيما القائمون بنصرة الدين، فالحرب دينية على الاسلام نفسه؛ لأن دين الإسلام عندهم هو دين تطرف، وهذا هو شغلهم الشاغل على مدار التاريخ الاسلامي..

فهي من أهل الكتاب حرب صليبية يهودية، ومن الروس وحلفائهم شيوعية إلحادية، ومن الرافضة الباطنيين المجوس؛ تهدف هذه الحروب جميعها إلى تبديل الدين الحق في نفوس أهله وواقعهم.

قال الله عز وجل: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (البقرة: 120).

وقال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ (النساء: 89).

وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ (البقرة: 217).

وقال سبحانه: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ (البقرة: 109).

وضوح المعركة في سورة البروج

وقال سبحانه عن أهل الأخدود الذين أحرقهم الكفار بالنار: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (البروج: 8).

وما أجمل ما علق به سيد قطب رحمه الله تعالى على هذه الآية حيث قال:

"إن المعركة بين المؤمنين وخصومهم هي في صميمها معركة عقيدة وليست شيئًا آخر على الإطلاق، وإن خصومهم لا ينقمون منهم إلا الإيمان، ولا يسخطون منهم إلا العقيدة..

إنها ليست معركة سياسية ولا معركة اقتصادية، ولا معركة عنصرية... ولو كانت شيئًا من هذا لسهل وقعها، وسهل حل إشكالها، ولكنها في صميمها معركة عقيدة؛ إما كفر وإما إيمان.. إما جاهلية وإما إسلام.. إنها قضية عقيدة ومعركة عقيدة..

وهذا ما يجب أن يستيقنه المؤمنون حيثما واجهوا عدوًّا لهم فإنه لا يعاديهم لشيء إلا لهذه العقيدة ﴿إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ ويُخلصوا له وحده الطاعة والخضوع.

وقد يحاول أعداء المؤمنين أن يرفعوا للمعركة راية غير راية العقيدة، راية اقتصادية أو سياسية أو عنصرية، كي يموّهوا على المؤمنين حقيقة المعركة، ويطفئوا في أرواحهم شعلة العقيدة.

فمن واجب المؤمنين ألا يُخدعوا، ومن واجبهم أن يدركوا أن هذا تمويه لغرض مبيَّت. وإن الذي يغير راية المعركة إنما يريد أن يخدعهم عن سلاح النصر الحقيقي فيها.

النصر في أية صورة من الصور؛ سواء جاء في صورة الانطلاق الروحي كما وقع للمؤمنين في حادث الأخدود، أو في صورة الهيمنة الناشئة من الانطلاق الروحي كما حدث للجيل الأول من المسلمين ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ وصدق الله العظيم، وكذب المموهون الخادعون".(92)

ومع وضوح وجلاء ذلك في كتاب الله عز وجل إلا أن مِن بني قومنا من ينخدع بإعلام الكافرين والمنافقين في بيانهم لأهداف حربهم وأنها على الإرهاب؛ وذلك لإعراضهم وغفلتهم عن كلام ربنا سبحانه في كتابه الكريم..

ولهؤلاء وأمثالهم نقول: ارجعوا إلى كتاب الله عز وجل، اتلوه وتدبروه، اجعلوه الهادي والدليل لكل أحكامكم ومواقفكم في خضم الفتن التي تموج كموج البحر.

كما نقول لهؤلاء الذين غفلوا عن كلام ربنا سبحانه؛ ارجعوا إلى تصريحات بعض أئمة الكفر وزعماء الحرب من اليهود والنصارى ترونهم قد صرحوا بأن حربهم دينية وتستهدف دين الإسلام، والإسلام فحسب.

كلماتهم توضح الحقيقة .. أمثلة لذلك

وقف مندوب أمريكا في هيئة الأمم قائلًا: إن الصراع الحقيقي في الشرق الأوسط ليس بين العرب واليهود، إنما الصراع الحقيقي هو ما بين حضارة الإسلام وحضارة الغرب؛ فإذا استطعنا أن نزيح حضارة الإسلام عن ميدان الصراع هان علينا تصفية القضية، وسهل علينا الجمع ما بين العرب واليهود.(93)

ويؤكد صليبية الفرنسيين ما قاله «بيدو» وزير خارجية فرنسا، عندما زاره بعض البرلمانيين الفرنسيين، وطلبوا منه وضع حد للمعركة الدائرة في مراكش، فأجابهم: «إنها معركة بين الهلال والصليب».(94)

وقال الرئيس الأمريكي السابق «بوش» نفسه: «وعلى الرغم من أن الحرب على أفغانستان توشك على نهايتها، فإن أمامنا طريقًا طويلًا ينبغي أن نسيره في العديد من الدول العربية والإسلامية، ولن نتوقف إلى أن يصبح كل عربي ومسلم مجردًا من السلاح، وحليق الوجه وغير متدين ومسالمًا ومحبًّا لأمريكا، ولا يغطي وجه المرأة». في خطاب له أمام الكونجرس، (200/1/29.(95)

ونشرت النيويورك تايمز في (2003/3/21) أن بوش قال لأحد أصدقائه عندما كان حاكمًا لولاية تكساس: «إن الله يريده أن يترشح للرئاسة، وأنه أوعز للولايات المتحدة بأن تقود حملة صليبية تحريرية في الشرق الأوسط».(96)

وصرح طاغوت أمريكا «ترامب» أثناء حملته الانتخابية في الترشح للرئاسة الامريكية بعدائه الصريح للإسلام كدين حيث قال فض الله فاه: «إنه يعتقد أن الإسلام يكره الأمريكيين، وإنه من الصعب التفريق بين الإسلام والإسلام المتطرف».(97)

الوصية الثانية:

الثبات الثبات

إذا تبين لنا حقيقة المعركة وأنها بين الحق والباطل، بين حزب الله وحزب الشيطان؛ فإن هذا مما يزيد المؤمنين القائمين بنصرة الدين ثباتًا على الحق وتمسكًا به وقوة في الانتماء إليه؛ ولكن مع هذا فقد يعتري بعض النفوس المؤمنة وهي تواجه شراسة الباطل وبطشه ومكره وقوته التي تزيد يومًا بعد يوم بعض الضعف الذي يأتي من تسلط شياطين الإنس والجن، يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا، مما ينشأ عنه ضعف الصبر والثبات على الحق.

وهنا أذكر نفسي وإخواني الدعاة والمجاهدين من أهل السنة بعدة أمور تعين بإذن الله تعالى على الصبر والثبات على الدين.

أمور تعين المؤمن على الثبات

الأمر الأول: التفويض الى الله

تفويض الأمور إلى الله تعالى والاستعانة به وحده والتبرؤ من الحول والقوة، وكثرة الدعاء والتضرع بين يديه سبحانه؛ وذلك بسؤاله الثبات والهداية للحق والموت عليه.

الأمر الثاني: الصبر لله وبه ومعه

إن الصبر النافع الذي يثبت الله عز وجل به أهل الإيمان هو ما قام بالله، ولله، ومع الله.

ويشرح الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى هذه المقومات فيقول:

فالأول: صبر الاستعانة به، ورؤيته أنه هو المصبّر، وأن صبر العبد بربه لا بنفسه كما قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ (النحل: 127) يعني: إن لم يصبرك هو لم تصبر.

والثاني: الصبر لله، وهو أن يكون الباعث له على الصبر محبة الله وإرادة وجهه والتقرب إليه لا لإظهار قوة النفس والاستحماد إلى الخلق، وغير ذلك من الأعراض.

والثالث: الصبر مع الله، وهو دوران العبد مع مراد الله الديني منه، ومع أحكامه الدينية، صابرًا نفسه معها، سائرًا بسيرها، مقيمًا بإقامتها، يتوجه معها أين توجهت ركائبُها وينزل معها أين استقلت مضاربها.

فهذا معنى كونه صابرًا مع الله؛ أي: قد جعل نفسه وقْفا على أوامره ومحابّه، وهو أشد أنواع الصبر وأصعبها وهو صبر الصديقين(98).

الأمر الثالث: ربط القلوب بالجزاء الأخروي .. الجنة

ربط القلوب بالله تعالى ويقين المؤمن القائم بأمر الله ونصرة دينه بما أعده سبحانه للقائمين بنصرة الحق من الرضوان والنعيم المقيم في جنات الخلد، والتطلع إلى هذه الغاية وحدها وعدم التطلع إلى أي شيء في هذه الدنيا.

وهذا ما أنشأه القرآن في قلوب الرعيل الأول الذين رباهم الرسول صلى الله عليه وسلم على عينه، وكان مما يحفزهم على الصبر والتضحية، وعَدَهم برضا الله تعالى وجنته؛ فهذا عمار بن ياسر رضي الله عنهما حينما رآه الرسول صلى الله عليه وسلم يعذبه المشركون مع أمه وأبيه كان يقول لهم «صبرًا آل ياسر فإن موعدكم الجنة».(99)

وعندما قال الأنصار في بيعة العقبة: ما لنا إن بايعناك على ذلك..؟ قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم: «لكم الجنة»(100)..

ولم يعدْهم صلى الله عليه وسلم بشيء في هذه الدنيا حتى ولو كان التمكين لهم في الأرض والنصر على الكافرين، وقد حصل لهم ذلك.

هذا ما ينبغي أن يوطّن عليه أهل الطائفة المنصورة أنفسهم فلا يلتفتون إلى شيء من هذه الدنيا الفانية، وإنما ينتظرون توفية الأجر يوم القيامة قال تعالى: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾.(آل عمران: 185)

وعندما تستحوذ هذه المعاني على أنصار الله عز وجل؛ فإنها تكون من أعظم أسباب الثبات على الحق والتضحية في سبيله، ولا يبالون حينئذ بما يصيبهم في سبيل الله عز وجل؛ ولا يفتّ في عزائمهم؛ إذا لم يروا نتيجة كفاحهم بالتمكين لهذا الدين، فحسْبهم أنهم أرضوا ربهم وجاهدوا في سبيله ابتغاء مرضاته.

من معاني سورة البروج

وعن هذه المعاني يقول سيد قطب رحمه الله تعالى، وهو يعلق على قصة أصحاب الأخدود في سورة البروج:

"هناك إشعاع آخر تطلقه قصة أصحاب الأخدود وسورة البروج حول طبيعة الدعوة إلى الله، وموقف الداعية أمام كل احتمال؛ لقد شهد تاريخ الدعوة إلى الله نماذج منوعة من نهايات في الأرض مختلفة للدعوات: شهد مصارع قوم نوح، وقوم هود، وقوم شعيب، وقوم لوط، ونجاة الفئة القليلة العدد، مجرد النجاة، ولم يذكر القرآن للناجين دورًا بعد ذلك في الأرض والحياة.

وهذه النماذج تقرر أن الله سبحانه قد يريد أحيانًا أن يعجل للمكذبين الطغاة بقسط من العذاب في الدنيا، أما الجزاء الأوفى فهو مرصود لهم هناك، وشهد تاريخ الدعوة مصرع فرعون وجنوده، ونجاة موسى وقومه، مع التمكين للقوم في الأرض فترة كانوا فيها أصلح ما كانوا في تاريخهم... وهذا نموذج غير النماذج الأولى.

وشهد تاريخ الدعوة كذلك مصرع المشركين الذين استعصوا على الهدى والإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وانتصار المؤمنين انتصارًا كاملًا، مع انتصار العقيدة في نفوسهم انتصارًا عجيبًا، وتم للمرة الوحيدة في تاريخ البشرية أن أقيم منهج الله مهيمنًا على الحياة في صورة لم تعرفها البشرية قط، من قبل ولا من بعد وشهد – كما رأينا – نموذج أصحاب الأخدود...

وشهد نماذج أخرى أقل ظهورًا في سجل التاريخ الإيماني في القديم والحديث، وما يزال يشهد نماذج تتراوح بين هذه النهايات التي حفظها على مدار القرون.

ولم يكن بدٌّ من النموذج الذي يمثله حادث الأخدود، إلى جانب النماذج الأخرى، القريب منها والبعيد ولم يكن بدٌّ من هذا النموذج الذي يمثله حادث الأخدود إلى جانب النماذج الأخرى القريب منها والبعيدة؛ لم يكن بدٌّ من هذا النموذج الذي لا ينجو فيه المؤمنون، ولا يؤخذ الكافرون!

ذلك ليستقر في حس المؤمن ـ أصحاب دعوة الله ـ أنهم قد يُدعون إلى نهاية كهذه النهاية في طريقهم إلى الله، وأن ليس لهم من الأمر شيء، إنما أمرهم وأمر العقيدة إلى الله!

إن عليهم أن يؤدوا واجبهم، ثم يذهبوا..

وواجبُهم أن يختاروا الله، وأن يؤثروا العقيدة على الحياة، وأن يستعلوا بالإيمان على الفتنة وأن يصْدُقوا الله في العمل والنية، ثم يفعل الله بهم وبأعدائهم، كما يفعل بدعوته ودينه ما يشاء، وينتهي بهم إلى نهاية من تلك النهايات التي عرفها تاريخ الإيمان، أو إلى غيرها مما يعلمه هو ويراه، وهم يقبضون الدفعة الأولى طمأنينةً في القلب، ورفعةً في الشعور، وجمالًا في التصور، وانطلاقًا من الأوهاق والجواذب، وتحررًا من الخوف والقلق، في كل حال من الأحوال.

وهم يقبضون الدفعة الثانية في الملأ الأعلى ذكرًا وكرامة، وهم بعد في هذه الأرض الصغيرة.

ثم هم يقبضون الدفعة الكبرى في الآخرة حسابًا يسيرًا ونعيمًا كبيرًا، ومع كل دفعة ما هو أكبر منها جميعًا، رضوان الله عز وجل...

لقد كان القرآن ينشئ قلوبًا يعدّها لحمل الأمانة، وهذه القلوب كان يجب أن تكون من الصلابة والقوة والتجرد بحيث لا تتطلع ـ وهي تبذل كل شيء، وتحتمل كل شيء ـ إلى شيء في هذه الأرض، ولا تنظر إلا إلى الآخرة، ولا ترجو إلا رضوان الله، قلوبًا مستعدة لقطع رحلة الأرض كلها في نصَب وشقاء وحرمان وعذاب وتضحية حتى الموت؛ بلا جزاء في هذه الأرض قريب، ولو كان هذا الجزاء هو انتصار الدعوة وغلبة الإسلام وظهور المسلمين، بل لو كان هذا الجزاء هو هلاك الظالمين بأخذهم أخذ عزيز مقتدر كما فعل بالمكذبين الأولين!

حتى إذا وجدت هذه القلوب، التي تعلم أن ليس أمامها في رحلة الأرض إلا أن تعطي بلا مقابل ـ أي: مقابل ـ وأن تنتظر الآخرة وحدها موعدًا للفصل بين الحق والباطل..

حتى إذا وجدت هذه القلوب، وعلم الله منها صدق نيَّتها على ما بايعَت وعاهدَت، آتاها النصر في الأرض، وائتمنها عليه، لا لنفسها، ولكن لتقوم بأمانة المنهج الإلهي وهي أهل لأداء الأمانة منذ كانت لم توعد بشيء من المغنم في الدنيا تتقاضاه، ولم تتطلع إلى شيء من الغنم في الأرض تعطاه، وقد تجردت لله حقًّا يوم كانت لا تعلم لها جزاء إلا رضاه».(101)

الانشغال الواجب للقائمين بأمر الله

إن ما ينبغي أن ينشغل به القائمون بأمر هذا الدين ويكون هو همهم الأول؛ التمسك بالحق والثبات عليه والاطمئنان ببقائهم على الصراط المستقيم الذي يرضي الله عز وجل، وأن يحذروا الزيغ عنه..

أما متى يأتي نصر الله ومتى ينتقم الله من الظالمين الطغاة؛ فهذا مما لا ينبغي أن يشغلوا أنفسهم به؛ لأن ذلك مرده إلى الله عز وجل وإلى علمه وحكمته ورحمته والله يعلم ونحن لا نعلم.

ولتقرير هذا المعنى نقف مع قول الله عز وجل: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ * أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ * فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.(الزخرف: 41-43)

ما أعظم هذه الآيات لمن تدبرها! وما أنفعها اليوم للدعاة والمجاهدين وهم يواجهون الصراع والمساومات!

إن الله تعالى في هذه الآيات يوصي نبيه صلى الله عليه وسلم ومن تبعه من الدعاة والمجاهدين بألا يضعفوا ويتنازلوا أمام كيد الأعداء وتسلطهم وعدم الانتقام منهم..

فإن لله عز وجل الحكمة في تقدير الوقت الذي ينتقم فيه من الكافرين وأمر النصر وتوقيته هو إلى الله تعالى، ولا ينبغي أن ينشغل به المجاهدون في سبيل الله تعالى أو أن يستعجلوه قبل أوانه بإعطاء الأعداء تنازلات على حساب العقيدة وأصولها.

وأما الانتقام من الكافرين فهو أمر حتم يقدره الله تعالى في وقته المناسب فهو إلى الله سبحانه..

وأما عباده المجاهدون فعليهم الثبات على هذا الدين والاستمساك بوحي الله عز وجل، وأن يكون هذا هو همهم الشاغل، وأن يحذروا أن يضعف استمساكهم أمام ضغوط الكفار وتسلطهم وتأخر هلاكهم: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

الوصية الثالثة

دعوة لنصرتهم

أوصي نفسي وإخواني من عامة أهل السنة أن ينضموا إلى ركب الطائفة المنصورة القائمة بأمر هذا الدين ونصرته، كلٌّ بما يقدر عليه وبما فتح الله عليه من المواهب والقدرات؛ حيث إن جذوة المعركة مع الباطل وأهله قد اشتدت واستَعَرَ لهيبها، وقد وحّد الباطل جهوده بمختلف فئاته وأسرج خيله وبذل كل ما في وسعه لمحاربة الحق وأهله محاولةً منه في تبديل الدين وإطفاء نور الله عز وجل وأنَّى له ذلك «فالله مولانا ولا مولى لهم.«

وأحسب والله أعلم أن المعركة سيشتد أوارها وسعيرها كلما تقدم الوقت؛ فلا عذر إذن لقاعد متفرج لا يهمه أمر هذا الدين..

فإن وجد أحد نفسه قد ضعفت عزيمته وأبت إلا الكسل وإيثار الراحة والدَّعة على البذل والتضحية في سبيل نصرة هذا الدين، فلا أقل من أن يبذل لهذه الطائفة ولاءه القلبي ودعاءه لهم والتخذيل عنهم والفرح بما يفتحه الله على أيديهم من خير وبما يغلقه بدعوتهم من شر..

وأن يحذر من أن يستخفه المبطلون بأعوانهم وإعلامهم، فيستخدموه أو يوظفوه في معاداة الطائفة المنصورة وخذلانها ولو بكلمة واحدة.

أسأل الله عز وجل أن يجعلنا من أنصار دينه الذين ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾، اللهم لا تحرمنا فضلك.

وبعد:

فهذا ما منَّ الله عز وجل به من كتابة حول هذا الموضوع الجلل «الطائفة المنصورة وواقعنا المعاصر» فما كان فيه من صواب فمن الله عز وجل فهو المتفضل والمانُّ به، وأحمده على ذلك، وما كان فيه من خلل وخطأ فمني ومن الشيطان، وأستغفر الله منه.

أسأل الله عز وجل أن يكون خالصًا لوجهه وأن ينفع به كاتبه وقارئه وسامعه.

والحمد لله رب العالمين.

....

هوامش:

1. متفق عليه.
2. القرطبي (5/ 346.(
3. البغوي (2/ 272.(
4. تفسير السعدي (ص:195.(
5. عن مقال الطائفة المنصورة: موقع طريق الإسلام.
6. انظر «الطائفة المنصورة» للشيخ سلمان العودة حفظه الله تعالى.

7. البخاري (3116).
8. البخاري (3641).
9. البخاري (3640)، مسلم (175).
10. مسلم (170).
11. مسلم (172).
12. «المستدرك» للحاكم (449/4)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (7287).
13. مسلم (173).
14. مسلم (177).
15. مسلم (176).
16. أحمد (369/4).
17. مسلم (156).
18. أبو داود (2484)، وأحمد (429/4)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (7294).
19. الترمذي (2192) وقال هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجة (2375).
20. أحمد (240/2)، وأورده الهيثمي في المجمع وقال: رجاله رجال الصحيح غير زهير بن قمير وهو ثقة وضعفه الألباني.
21. النسائي (214/6)، وأحمد (104/4)، وصححه الألباني في «الصحيح» (1935) وأذال: يعني أهان وأهمل.
22. أبو يعلى الموصلي في «المطالب العالية» كتاب الفتن، وابن حبان كما في الموارد (1917).
23. رواه الطبراني في «الكبير» (736)، ورواه عبد الله بن أحمد وجادة قال: «وجدته في كتاب أبي بخط يده» (59/5).
24. رواه الطبراني في «الكبير» (754)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (752)، وقال الهيثمي في «المجمع» وقال: «فيه رجال لم أعرفهم» (288/7).
25. رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (2691).
26. رواه سعيد بن منصور (2376)، وهو مرسل حسن.
27. انظر مقال: «الطائفة المنصورة» (ص166).
28. انظر شرح حديث «لاتزال طائفة» (ص68) د. إبراهيم سلقيني.
29. هذه اللفظة رواها سعيد بن منصور في «سننه» (178/2).
30. «شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك» (152/1).
31. «صحيح مسلم بشرح النووي» (77/7) شرح الحديث رقم (1920).
32. «القاموس المحيط» (ص750)، مادة (ط و ف).

33. نفس المصدر (ص1039) مادة (ق و م).
34. نفس المصدر (ص107) مادة (ع ص ب).
35. «شرح سنن ابن ماجة» للسندي (7/1).
36. رواه الترمذي (2641) وقال: «هذا حديث حسن غريب» وحسنه الألباني في «الصحيحة» (1348).
37. «مدارج السالكين» (196/3).
38. «شرح النووي على صحيح مسلم» (58/5، 59).
39. «لسان العرب» (3783/5) مادة (ق و م).
40. انظر: «شرح حديث لاتزال طائفة من أمتي» د. إبراهيم سلقيني (ص46، 47).
41. «صحيح البخاري» (101/9).
42. «صحيح البخاري» (7312).
43. «فتح الباري» (124/17) في شرح حديث «لاتزال طائفة».
44. «سنن الترمذي» (2192).
45. «معرفة علوم الحديث» للحاكم (ص3).
46. «الديباج على صحيح مسلم بن حجاج».
47. سبق تخريجه.
48. «شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي» (ص53).
49. «صحيح مسلم بشرح النووي» (77/7).
50. انظر: «فتح الباري» (294/13).
51. «عون المعبود» (158/4).
52. كما في حديث ابن عمر الصحيح: «إذا تبايعتم بالعينة...» الحديث. رواه أبو داود (3462).
53. «الطائفة المنصورة» للشيخ سلمان العودة (ص191-198) باختصار يسير.
54. البخاري (2852)، مسلم (1872).
55. أبوداود (3462) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (1389)، وقال: «صحيح لغيره».
56. «فتح الباري» (56/6).

57. انظر: «الطائفة المنصورة» ضمن سلسلة الغرباء د. سلمان العودة (ص176-182) باختصار وتصرف يسيرين.
58. سبق تخريجها.
59. أبو داود (4341)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (3172) الترمذي (3058)، وقال: «حسن غريب» (3058)، وابن ماجه (2014) بمدون الزيادة.
60. سبق تخريجه.
61. سبق تخريجه.
62. سبق تخريجه.
63. سبق تخريجه.
64. »مجموع الفتاوى» (428/28، 429.(
65. »مجموع الفتاوى» (416/28، 417.(
66. «مقدمة الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» «القصيدة النونية» (ص5).
67. سبق تخريجها.
68. سبق تخريجها.
69. «الفتاوى الكبرى» (548/3).
70. «مدارج السالكين» (3/7).
71. «مدارج السالكين» (36/3).
72. «تفسير السعدي» (ص235).
73. «تفسير الطبري» (622/4).
74. «تفسير البغوي» (69/1).
75. «في ظلال القرآن» (919/2).
76. «الفروسية» (ص83، 84).
77. البخاري (7199)، ومسلم (1840).
78. «تفسير ابن كثير» (97/2).
79. انظر: «افتتاحية مجلة البيان» العدد (231) ذو القعدة (1427هـ).
80. سبق تخريجه.

81. «مسند أحمد» (16957) ط. الرسالة (28، 155)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (7/1).

82. مسلم (2889).

83. «صحيح مسلم» (2922).

84. «مسلم» (2922).

85. باختصار وتصرف يسير من مقال «بشائر النصر» أحمد السديس مجلة البيان عدد (188).

86. انظر كتاب: «المستقبل لهذا الدين» (ص5) بشيء من الاختصار والتصرف اليسير.

87. »شرح مسلم« للنووي (58/5، 59.(

88. »إعلام الموقعين« (178/2.(

89. مسلم (770.(

90. يرجع إلى رسالة «المشروع الأمريكي في حرب أهل السنة» للمؤلف.

91. «سنن أبي داود» (4884) و«مسند أحمد» (16369) وحسنة الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (5690).

92. »معالم في الطريق« (ص185، 186) باختصار.

93. »عودة الحجاب« (86/1) د.محمد بن إسماعيل.

94. المصدر نفسه (88/1.(

95. موقع الفوائد.

96. »موقع الفوائد.«

97. »موقع مزمز.«

98. »مدارج السالكين« (157/156/2.(

99. رواه الحاكم (5646)، وأبو نعيم في «الحلية» (140/1)، وحسنه الألباني في «تحقيق فقه السيرة للغزالي» (ص103.(

100. رواه أحمد (322/3)، والحاكم (624/3)، وقال: «صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبي.

101. «معالم في الطريق» (ص183-185) باختصار يسير.